المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
من المسرح العالمي
الطبعة الثانية

نكراسوف

جان بول سارتر

العدد التاسع
مايو 2009
تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

من المسرح العالمي

الإصدار الثاني

نيكراسوف

مسرحية

تـــألـــيـــف:

جـــــان بول ســــــارتـر

تـرجــــمــــة :

د. عـبـدالقـادر التلسمـاني

مــــراجــــعــــة:

د. رضــــا الجــــمـل

الطبعة الثانية ٢٠٠٩

من
المسرح العالمي

تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
دولة الكويت

almasrahalaalami@yahoo.com
almasrahalaalami@gmail.com

www.kuwaitculture.org

نيكراسوف
تأليف: جان بول سارتر
ترجمة : د. عبدالقادر التلسماني
مراجعة: د. رضا الجمل

الطبعة الثانية ٢٠٠٩ / الطبعة الأولى ١٩٨٩
دولة الكويت

ISBN: 978 - 99906 - 0 - 271 - 5
رقم الإيداع: (٢٠٠٩/٠١٦)

نيكراسوف

جان بول سارتر

الفهرس

* * *

تقديم
سارتر.. والدراما الوجودية

بقلم: د. سيد الإمام

يعنى بعض النقاد بإجراء يرونه مهما - إن لم يكن رئيسيا - في تناولهم للعمل الفني، إذ يركزون على العمل في ذاته، على نحو يعزله عن أي مرجع يمكن أن يندمج فيه من خارجه، سواء أكان من السياق التاريخي بما فيه من أوضاع اجتماعية/اقتصادية/سياسية، أو من تطور الحياة الخاصة بالمبدع، أو من المعطيات الثقافية التي تتشكل في أفق الوعي العام، وبهذا العزل يؤكدون مقولة الموضوعية التي تمنح العمل الفني استقلاله الذاتي واكتماله الداخلي، مما يبرر - من ناحية أخرى - استغراقهم في عناصره تحليلا وكشفا عما بينها من علاقات التماثل والتشابه أو الاختلاف والمغايرة، على نحو يترابط في بناء الأثر الكلي. غير أن هذا المنحى - في تقديري على الأقل - لا يعد مقاربة مجدية في تناول أعمال جان بول سارتر (١٩٠٥-١٩٨٠) الدرامية أو الأدبية عامة، فإنتاجه الفلسفي يكاد يقترن بإنتاجه الأدبي، ويجد فيه مجال تفسيره وهوامشه الشارحة لما غمض فيه وبدا مبهما، من خلال ما يتجسد في هذا الأدب من تجارب إنسانية محددة يتفاعل فيها البشر بعضهم مع بعض، ومع الشروط الموضوعية التي يعيشون في ظلها، ويتنفسون أبعادها، ويفرزون أفكارهم ومشاعرهم بإزائها، والإنتاج الأدبي - من ناحية أخرى - يجد في الفلسفة المقترنة به خصوصيته التي تميزه عن الإنتاج المماثل، بل وكان سارتر في حاجة إلى أدبه كي يكتشف آفاق فلسفته، كما كانت فلسفته وأدبه الدرامي والروائي وثيقي الصلة بالسياق التاريخي بوصفه عالمه الذي يعيشه وتعيشه شخصياته، ويستقي منه مواقفه، ويحدد فيه خياراته، ونظريته الأدبية أيضا تؤكد على هذه الصلة وتدعوها التزاما، ومناط المسؤولية في الوقت نفسه.

وقد بلغ إنتاج سارتر الدرامي تسعة أعمال هي بتواريخ ظهورها: «الذباب» (١٩٤٣)، «لا مفر» (١٩٤٤) التي قد تترجم بـ «جلسة سرية» أو «الأبواب الموصدة»، «موتى بلا قبور» (١٩٤٦)، وفي العام نفسه كتب «المومس الفاضلة» (١٩٤٦)، «الأيدي القذرة» (١٩٤٨)، «الشيطان والرحمن» (١٩٥١)، «الممثل كين» (١٩٥٤)، «نيكراسوف» (١٩٥٦)، ثم «سجناء الطونا» (١٩٥٩- ١٩٦٠). وهذه الأعمال في تطورها يمكن فهمها وتفسيرها في ضوء تطور فكر سارتر من الوجودية الخالصة إلى محاولة خلق تزاوج بينها وبين الماركسية، لاسيما في مستوى نظرية المعرفة، وكذا في ضوء تطور السياق التاريخي نفسه في فرنسا، فالثلاث الأولى من هذه المسرحيات تستعيد آلام تحرير البلاد من قبضة الاحتلال الألماني خلال سني الحرب العالمية الثانية، وما اكتنفها من تنظيم خلايا وفاعلية المقاومة، وتذويب الفوارق الأيديولوجية بين قوى المجتمع المختلفة، لإعلاء هدف التحرير وتعضيد مبدأ الحرية الوطنية. وفي بقيتها تبرز قضايا الوجود الاجتماعي مثل «التفرقة العنصرية» وتأثيرها في قيمة العدالة في «المومس الفاضلة»، وفلسفة الحكم، بما تستدعيه من ملاحاة أيديولوجية وصراع في الممارسة السياسية، مثل الخلافات بين الكتل اليسارية تحالفا أو تعارضا مع الكتل التقليدية كما في «الأيدي القذرة»، والحملات الإعلامية الزائفة في الصحف اليمينية ضد اليسار في «نيكراسوف»، خصوصا أن العالم انقسم فعليا إلى كتلتين أيديولوجيتين كبيرتين، إحداهما اشتراكية بقيادة الاتحاد السوفييتي، والثانية رأسمالية في ظل قيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وبينهما حرب باردة يتقي قطباها أن تصبح ساخنة، تهدد البشرية بالدمار مع تطور تكنولوجيا التسليح واكتشاف القنبلة الذرية والهيدروجينية، حتى أن ثورات التحرر الوطني التي صفت الاستعمار القديم في دول العالم الثالث، تأثرت مدا وجذرا بما بين الدولتين العظميين من آليات صراع على دوائر النفوذ والاستقطاب العالمي. وفي هذا الإطار لفهم أعمال سارتر

الدرامية، يمكن طرح التطور العام لفلســفته مقترنا بالحلقات المفصلية في الســياق التاريخي، ثم الصيغة الفنية التي اعتمد عليها مسرحه بما تنطوي عليه من تنويعات ممكنة.

أولا: تطور الفلسفة الوجودية في السياق التاريخي

١- الفكرة الوجودية بين الواقع العيني والتراث الفلسفي

ليســت الوجودية – على نحو ما ألفت الفلســفات الكلاسيكية – نظاما من الأفكار المتكاملة فيما بينها لتفســير العالم، وامتصاص تجربة الوجود الإنساني فيه، والحكم عليها على نحو مسبق، لكنها بالأحرى منهج وأسلوب للتفكيــر في العالم وفي الوجود الإنســاني، من حيــث هو وجود يجمع بين الأشياء والذات، بين الموضوعات العديدة والمتنوعة التي تتناثر في العالم، وتشــكل في الوقت نفسه الوســط المادي، والحقيقة الإنسانية التي تتغير وتنفي ماهيتها باســتمرار مــع تنوع وتغير علاقاتها بمفــردات العالم الذي يحيط بها، ولكن خلال الحضور المباشــر لكليهما معا في الحيز نفسه من الزمــان والمكان. وفي هذا الإطار الذي يجعل الوجودية أســلوبا ونهجا في التفكيــر يتعلق بعلاقة متغيــرة دائما في الزمن، تعــد الوجودية مبحثا من العســير تحديده، ويســتنكر مبدئيا عملية التحديد، فالمبحث – فيما يقول ســارتر – مشروع، وتســمية المبحث أو المشروع وتحديده، يبدو كما لو كنا جمدناه وربطنا عليه وعقدنا الرابطة[١].

فالاختيــار والقرار الذي تصدره الذات الإنســانية، في علاقاتها بالعالم وما فيه من موضوعات وأشياء، في الحيز عينه من الزمان والمكان، يؤديان

(١) سارتر، جان بول – نقد العقل الجدلي – ت: د. عبد المنعم الحفني- القاهرة – مكتبة مدبولي – ب. ت – ص٤.

إلى تغير الذات وتغير الموضوع فيتجاوزان نفسيهما إلى المستقبل، إلى حضور مغاير لما كانا عليه في الماضي، ولما كانا عليه «هنا والآن»، فيتغير الاختيار مثلما يتغير الفكر والشعور. والفلسفة الوجودية بما هي منهج وأسلوب، تود لو احتفظت لتجربة الوجود المتعين بما لها من حيوية في الفكر، وكثافة في الشعور والانفعال، ولا تنحو بها إلى التجميد في أطر نظرية مجردة تحصر أجزاءها وتمتصها في تصور كلي واحد، يحكمها بمنظور سابق عليها. غير أن هذا الأسلوب تمخض - من ناحية أخرى - عن جملة من النظريات الأصلية تخترق الوضعية الإنسانية في العالم وتنفذ إلى ما وراءها، فتهيأت بالنتيجة فلسفة لا تبغي تكاملا صوريا بقدر ما تسعى إلى تكامل منهجي. ويؤكد سارتر أنه حيث لا توجد إلا فلسفة واحدة تحت ظروف معينة ومحددة بدقة تعبر عن حركة المجتمع العامة، ومادامت الفلسفة حية، فهي تمنح نفسها لمعاصريها بوصفها وسطا ثقافيا[٢]، لأنها نتاج فاعلية إنسانية احتفظت لنفسها بحيوية الحاضر وانبثقت منه بكل ما ينطوي عليه من أبعاد، وعبرت عنه - على مستوى آخر - باعتبارها وسطا ثقافيا فيه.

والواقع أن فترة ما بين الحربين العالميتين في القرن العشرين، وجدت وسطها الثقافي في أسلوب ومنهج تفكير الوجودية الذي يؤكد فرضه الرئيسي على مبدأ سبق الوجود على الماهية، فلم تعد تغني شيئا كل التصورات الفلسفية السابقة في فهم التجربة المباشرة التي يمر بها الوجود البشري، ولم تعد تتطابق معها، مما أفقدها - ومنهج التوصل إليها - القيمة والمعنى، وأصبحت أوعية فارغة من المضامين الحقيقية. وفي هذا السياق صار ضروريا البحث عن أسلوب آخر في التفكير يحتفظ للتجربة بحيويتها وزخمها الشعوري والانفعالي، ويحول

(٢) سارتر، جان بول - المرجع نفسه - ص٧.

دون تجمُّدها في أطر نظرية محضة، فكان الأسلوب الوجودي الذي يقول ماكوري: إنه ينبثق كلما وجد الإنسان أمنه مهددا، ويدرك ألوان الإيهام واللبس في العالم، وعندما يعرف وضعه العابر في هذه الدنيا، وذلك يساعدنا كثيرا في تفسير السبب الذي من أجله ازدهرت الوجودية في هذه البلاد التي تقوضت فيها البنية الاجتماعية، وانقلبت رأسا على عقب، وأعيد تقويم القيم كلها من جديد[٣]. ولا شك في أنه ليس هناك شيء أشد وطأة على الوضع الإنساني من أن يتهدد في الصميم ليس بالتغير، ولكن بالتدمير، مثلما كان في سني الحربين العالميتين وما بينهما، وما اكتنفهما من وقائع الاحتلال والمقاومة، فكانت باعثا على توجيه وعي الكتاب في فرنسا وغيرها من بلاد أوروبا، نحو تقدير جدي لدور الإنسان ليس بوصفه حيوانا سياسيا فقط، ولكن باعتباره ساكن الكون الذي ينهار معناه ومبناه، وتجلت هذه النظرة في الثلاثينيات والأربعينيات في كتابات الوجوديين خصوصا سارتر[٤].

ولقد توازت الفلسفة في جانب كبير من تاريخها مع العلوم، من حيث الاهتمام بالتجربة والملاحظة والواقع العيني الذي يعيشه البشر، وبالطبيعة الممتدة في الكون وما تتمخض عنه من ظواهر، وكثيرا ما انتفت عن التجارب التي تنعزل في الذهن أو الوجدان أو أفق التأمل المحض كأن، العالم يمكن استيعابه هنا أو هناك في كليته المطلقة. ولكن غالبا ما يترتب على الاتجاه بالتفكير إلى الواقع العيني، وما يتشكل فيه من تجارب إنسانية حية، أن تنحسر القيم في التناقضات العينية، وتنتزع المسلمة الأولى من مكانها المألوف والمتواتر - في الوقت نفسه - في أبنية الفكر والشعور

(٣) ماكوري، جون - الوجودية - ت: د. إمام عبد الفتاح إمام - عالم المعرفة - الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ع ٥٨ - ص٨٢.

(٤) انظر: برونكو، ليونارد كابل - مسرح الطليعة/المسرح التجريبي في فرنسا - ت: يوسف اسكندر - القاهرة - دار الكاتب العربي - ١٩٦٧ - ص٣٨.

البشـــري. وعلى هذا الأســـاس لم يعد الإنســـان منذ القرن الثامن عشـــر فـــي كتابات فولتير وغيـــره، عاصيا أو غير عاص، بل صـــار مؤمنا أو غير مؤمن، وأصبحت هذه القضية محورية في فلســـفات القرن التاســـع عشـــر بما يتأســـس عليه من ســـؤال حول كيفية الإيمان. وفـــي كل ذلك باتت قيم الدين المســـيحي المتوارثة، غير ذات بال، حتى أن سورين كيركجرد Soren Kierkegaard (١٨١٣: ١٩١٥) – الـــذي يعتبر عـــادة أبا الوجودية الحديثة، وأول فيلســـوف يحمل لقـــب المفكر الوجودي[٥]، وهو مـــن أكثر الوجوديين مغـــالاة فـــي إيمانه – يـــكاد يســـتخف بالإيمـــان التقليدي، ويـــرى الإيمان الحقيقـــي قرارا داخليا للفـــرد، يرتقي من المرحلة الحســـية الجمالية إلى المرحلـــة الأخلاقية، للمرحلـــة الدينية، وهذه المراحـــل لا يمكن أن تصب في قوالب عقلية، أو تملى بطريقة منطقية، ووصم المسيحية التقليدية التي تمارسها الكنيســـة بطقوســـها ونظرياتها بالانحراف والضلال[٦]. فالإيمان الحقيقـــي لا يعد اســـتجابة لدعوة، ولا اتســـاقا مع مؤسســـة قائمة يرتجى رضاهـــا ويجتنب غضبها، ولكنه قرار فردي يتولد من تجربة ذاتية في ضوء احتكاكها الفعلي بالعالم، أشيائه وموضوعاته، وبالآخرين وما يصوغونه من علاقات لها مخاض فكري ونفسي وتأثير بالتبعية على الإيمان. وفي السياق الفلســـفي نفسه يؤكد فريدريك نيتشه (١٨٤٤: ١٩٠٠) أن الإيمان المسيحي انتحار متواصل للعقل، ويدون مارتن هايدجر Martin Heidegger (١٨٨٩: ١٩٧٦) كتابات مهمة عن نيتشـــه، ويعتبره الشـــخصية الرئيســـة في نشـــأة الوجودية بل وتاريخ الفلســـفة بصفة عامة، لأنه ينهي العصر الكلاسيكي في الفلســـفة الغربية، ويصبح مرشـــدا لعالم غريب هو عصرنا[٧]، ذلك العصر

(٥) انظر: ماكوري، جون – الوجودية – م. س – ص٧٢.

(٦) انظر: ماكوري، جون – م. ن – ص٧٣.

(٧) انظر: ماكوري، جون – م. ن – ص٧٤.

الذي يعد في لبابه، عصر شعور بالأزمة والتهديد، التمزق والاغتراب، وهي مشاعر جديدة في شدة تبعث الرجفة[٨].

وأيا كان مــن أمر فهناك جملة من العوامل التي تولّد معها هذا الموقف في الفلســفة المعاصرة، فمن متناقضات المســيحية في ذاتها، وتناقضها مع تجربة البشــر التي تتعين في حضورها المباشــر، لشــكلية الممارســة الطقســية وقصورها عن استيعاب الحقيقة الإنســانية، للإنجازات العلمية والفكريــة بالغة الاتســاق منهجيا والقــادرة في الوقت ذاتــه على مخاطبة العقــل وخلخلة مصداقية الخطاب الديني المســيحي التقليدي، إلى جانب تناقضات البنية الاجتماعية/الاقتصادية في ظل الرأســمالية، مما حســر حركــة الفرد وزاد من عزلته النفســية، ودمر وشــائج انتمائــه. فكل ذلك لــم يؤد إلى نفــي القيم المتوارثة عن آفاق واقع الإنســان فقــط، بل تركه معلقا علــى نحو اضطراري في العالم، يعاني وجــوده الخاص، ويفرض أن يســتعيد بنفســه ولنفســه مبررات هذا الوجود، وينتزعها من قلب حياته. فــإن أصبــح الفرد مؤمنا، فهو مؤمــن على نحو خاص تتحــدد فيه فرديته وخصوصيــة حياتــه كلهــا، ومن ثم يجد نفســه المتفردة فــي العالم، وقد تساقط عنها مبرر الوجود السابق عليها وفرغ من معناه، ولذلك يؤكد سارتر أن الوجوديين جميعا ســواء أكانوا مســيحيين أو « ... »، يؤمنون بأن الوجود سابق على الماهية، وأن الذاتية تبدأ أولا[٩].

وعلــى هذا النحو، يمكــن أن تتلخص الســمات العامــة للوجودية، في الريبة الجوهرية في القيم المتوارثة، وشــكلية ما تنطوي عليه ممارســاتها، وتناقضهــا غالبا مع التجربة الحية والمتعينة في الزمن والمكان، بالإضافة إلى انزواء الذات عن العالم في شعور ارتدادي يتوجس منه، ومن احتمالات

(٨) انظر: ماكوري، جون - م. ن - ص ٣٧٨.

(٩) سارتر، جان بول - الوجودية مذهب إنساني - ص١١.

تقلبه وانهياره بالبنية الاجتماعية/الاقتصادية، فضلا عن خصوصية تجربة الإيمـــان، وكل هـــذا يلتقي بجذر واحد يجعل وجود الإنســـان فـــي العالم/الموقف/التجربة ســـابقا على ماهيته، التي تتشـــكل بالتالي فيما يعانيه من تجارب نفســـية تكتسب معاني ومفاهيم بالغة الخصوصية، وإن كانت تتلبس أســـماء دارجة في الحيـــاة اليومية مثل الغثيان والقلق وهواجس الســـقوط في ســـوء الطوية، وتتحدد الماهية فيما يتخذه الإنســـان خلال تجاربه، من خيارات وقرارات، بنفسه لنفسه، في أثناء اشتباكه وتفاعله مع الموضوع.

٢- سارتر بين الوجود والعدم .. ونقد العقل الجدلي

يمكن تحديد تطور فكر ســـارتر بوصفه مســـارا بين مرحلتين، أولاهما تتمثل فـــي كتابه «الوجود والعدم» الذي أصدره ســـنة ١٩٤٣، ويعتبر وصفا للاشرعيتنا من حيث إنها تعيش الملل[١٠]، والثانية كتابه «نقد العقل الجدلي» الذي أصدره سنة ١٩٦٦، مرورا بمشكلة المنهج والمادية الماركسية والثورة. لكن تجربة ســـارتر ســـواء على مســـتوى الفكر أو الحياة، تعد نموذجا حيا لقـــرارات وخيارات بالغة الصعوبة على مســـتويات عديدة، وطالما كشـــفت عـــن حالة شـــديدة التأزم والفـــوران، اتصالا من الـــذات بالعالم/الآخرين، وانفصالا عنهم، انغمارا فيما هو شـــخصي وجزئي، وانتقالا إلى ما هو عام وثيـــق الصلة بمعرفـــة التاريخ. ولما كان مبدأه الفكري يســـتند إلى حضور التجربـــة وتعينها في الزمن والمكان، فإن أي تطور في فكره يتصل بالتبعية بتغير الواقع والتجربة التي يعيشـــها ويتورط بوعيه فيها، فإذا كان في فترة مـــا بين الحربيـــن يتمخض عـــن «الوجود والعـــدم»، فإنه تحـــت الاحتلال

(١٠) انظر: جانسون، فرانسيس - سارتر بقلمه - ت: د. خليل صابات - بيروت - منشورات نزار قباني - ١٩٦٧ - ص٢٥٥.

النازي لفرنسا، ومع انخراطه في المقاومة، يكتشف فاعلية الحرية وقيمتها، فيقول في الجزء الثالث من كتابه «المواقف»: إننا لم نكن إطلاقا أكثر حرية مما كنا أبان احتلال الألمان. . . لقد وصلنا إلى أعمق معرفة يمكن أن تكون لدى الإنسان عن نفسه، فليس سر الإنسان عقدة أوديب، أو عقدة الدونية، بل حدود حريته ومقدرته في مواجهة العذاب والموت(١١). ولكن بعد التحرير لونت أفكاره صبغة اجتماعية واضحة، لم تكن تظهر بالدرجة نفسها من الوضوح قبلها، وهذا التغير- كما يرى جانسون - يجب البحث عن دوافعه الموضوعية في السنوات الأولى لما بعد الحرب، مقارنة بفترة الاحتلال غير العادية، التي لم تكن العوامل الاجتماعية تؤدي فيها دورها في تفكيره بحرية، لأن مصائر فرنسا كانت في أيدي الأجنبي(١٢). فقد كان الآخر يبدو بوضوح باعتباره عدوا للحرية، التي ينبغي أن تتحدد بوصفها جوهر الذات الإنسانية ومناط الشعور العميق بالكرامة، وبالتبعية اكتشافها وحتمية الذود عنها بمقاومته.

ولكن بعد التحرير وخفوت فورة الحماس تدريجيا بنواله والتضحية النبيلة من أجله - لاسيما في السنتين الأوليين - لم يكن بد من أن يعيد الوعي توصيف الآخر الذي ينبغي التفكير فيه وفهمه ومحاورته والتعايش معه، مما يمنح الصبغة الاجتماعية للأفكار تبرير الظهور والتبلور بوضوح. فهذه الفترة التي تتحدد فيما بين ١٩٤٦ و١٩٥٠، تعد أساسية في تطور فكر سارتر، بما ينطوي عليه من غموض، فقد ألح صراع الطبقات بشكل محسوس، بما اكتنفه من تناقض في الرؤى والأفكار الاجتماعية، سواء على مستوى الداخل الفرنسي، أو في مستوى العلاقات الدولية بصيغة الحرب الباردة بين الكتلة الاشتراكية بقيادة الاتحاد السوفييتي والكتلة الرأسمالية

---

(١١) انظر: كرانستون، موريس - سارتر بين الفلسفة والأدب - ت: مجاهد عبد المنعم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨١- ص١٩.

(١٢) جانسون، فرانسيس - سارتر بقلمه - ص٢٥٥.

بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذا السياق اكتشف سارتر مع أبناء جيله أنهم تركوا حياتهم تسرق منهم، ومن ثم لم يرشح نفسه - أي سارتر فيما يرى جانسون - لمهمة أكثر استعجالا من محاولة فهم العالم وإدراك اختصاصاته الحقيقية، حتى لا يخاطر من جديد بأن يصبح ملكا له، وبأن يبتلعه بكتلته الضخمة، ولم يكن يستطيع أن يفوته الالتقاء بفكرة ماركس في الحدود التي تدع هذه الفكرة نفسها قادرة على أن تعطي الناس السيطرة على تاريخهم ذاته، بما أن الهدف لم يكن فهم العالم، بل تغييره[١٣].

والواقع أن ظهور البعد الاجتماعي/التاريخي في فكر سارتر يؤثر تأثيرا حاسما في مسرحه، سواء من حيث اختياره للمواقف والظروف الموضوعية التي تتطور بها وتتشكل من ناحية أخرى فيها، أو من حيث الشخصيات ومدى وعيها بهذا البعد وتأثيره فيها وتفاعلها معه وانعكاساته الممكنة على حريتها وخياراتها، وبالتبعية إبداع أو تحديد ماهيته.

ثانيا: الصيغة الفنية في دراما سارتر

الواقع أن اتضاح البعد الاجتماعي في فكر سارتر بشكل تدريجي فيما أعقب فترة تحرر فرنسا من الاحتلال الألماني، يؤدي إلى بروز فوارق جوهرية بين أعماله الدرامية التي أنتجها خلال المقاومة، والأعمال التي أنتجها بعد ذلك. ففي أعمال مثل «الذباب» و«جلسة سرية» و«موتى بلا قبور» التي، وإن قدمت بعد التحرير، ارتبطت بتجربة المقاومة وما أفرزته من مواقف، كان الماضي الذي شكل البعد الاجتماعي/الاقتصادي في حياة الأبطال خصوصا، يكاد يكون هامشيا، فلا يتطرق أورست قط إلى نمط

(١٣) جانسون، فرانسيس - م. ن - ص ٢٢٨، وانظر: ص٢٣٠، ٢٣١.

حياتــه فـــي الذباب قبل أن يعــود إلى مدينته أرجــوس، وبالمثل لا تعنى به شـــخصيات موتى بلا قبور، ويكتســـب وجودا هشـــا في ذاكرة أبطال جلسة ســـرية يلقي بظـــل باهت على الحاضـــر، ولكن لا يلبث أن يتلاشـــى. وعلى العكـــس من ذلك فإن الأعمال التي كُتبت في النصف الثاني من الأربعينيات والخمســـينيات مثل «المومس الفاضلة» و«الأيدي القـــذرة» و«الممثل كين» و«نيكراســـوف» و«سجناء الطونا» و«الشـــيطان والرحمن» يتجلى فيها البعد الاجتماعـــي ممتزجا بتناقض ونقـــد أيديولوجي ومحاولـــة متعمدة أو غير متعمدة لإنتاج صور زائفة عن الواقع، وتبرير الذات بها.

وأيـــا كان من أمـــر، جاءت أعمـــال ســـارتر الدرامية فـــي الأربعينيات والخمســـينيات مـــن القرن العشـــرين، مرتبطة بشـــكل أو بآخـــر بتيارات الحداثـــة الفنية، ومتأثرة بها في الوقت نفســـه، وخصوصا في تناول مفهوم الزمـــن الدرامي. ولكن على الرغم من أن ســـارتر عبر عـــن إعجابه البالغ بأعمـــال برتولد بريشـــت ومنحاه الفلســـفي إلى الماركســـية، فإنه لم يطق أســـاليبه الفنية، ولم يسع قط إلى أن يشـــاركه فيها، وبالمثل أبدى إعجابه بدراما العبث، لاســـيما حين عـــرض صمويل بيكت عمله «في انتظار جودو» (١٩٥٤)[١٤]، غيـــر أنـــه لم يقترب مـــن تقنياتها الفنية، وإن أفرزت الشـــكل الفني الذي يعتبر تجســـيدا للفلســـفة الوجودية. والواقع أن ســـارتر وغيره مـــن الكتاب الوجوديين ومن لفوا لفهم وتأثـــروا بهم بدرجة أو أخرى، آثروا الشكل الفني التقليدي ذا الطابع الأرسطي، وإن أعادوا - بالطبع - تأسيسه في ســـياق فلســـفتهم ورؤاهم الجمالية. ففي دراما سارتر - مهما بلغت من التركيز والتكثيف كما نجد في «جلســـة سرية»، أو أصابها شيء من التطويل والترهل نتيجة تكنيك «الفلاش باك» flash back كما في «الأيدي القذرة» أو

(١٤) انظر: محمد رشاد خميس، ماهر فؤاد - مقدمة (سجناء الطونا - تأليف: جان بول سارتر) - مسرحيات عالمية - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر - ع ٦١/١٩٦٨- ص١٩.

«سجناء الطونا» التي يتداخل فيها الزمن الحاضر مع الاسترجاع، نجد بناء مألوفا في تطوير الشكل الفني، فمن مرحلة المقدمة prologue أو العرض Exposition التي تخصص لتعريف الشخصيات والعلاقات بينها والموقف الذي يجمع بينها «هنا - الآن»، إلى الحدث الحافز inciting action أو نقطة الهجوم point of attack التي تولّد المفارقة الدرامية dramatic paradox مما ينشط الفعل في إطار من التناقضات يتكشف معها الصراع في خط صاعد rising conflict عبر سلسلة من التعقيدات complications تنتهي إلى ما يعرف بمشهد الذروة climax، ثم مشهد التعرف enlightening أو الاستنارة الذي تنفض معه المفارقة وتدرك الشخصية ما كان مجهولا عنها أو عن شبكة العلاقات التي انخرطت فيها ودمجتها في سياقها، ويبدأ معها الخط البياني رحلة الهبوط falling conflict، فيؤدي التعرف إلى تحول أو انقلاب مواقف الشخصية transformation، بما يغير أو يعيد بناء العلاقات على نحو مختلف، فيمهد - في الوقت نفسه - للنهاية الدرامية dramatic end أو الحل resolution، الذي يشكل إجابته عن السؤال الدرامي العام major dramatic question الذي تولد منه الفعل.

ولما كان حجر الزاوية في هذا الشكل من البناء الفني، يتمثل في مرحلة العرض والحدث الحافز الذي تتولد معه المفارقة، مما يضفي تأثيره على البناء ككل، فإن الكاتب الوجودي يعنى عناية خاصة بهما، بحيث يتخذ الموقف الابتدائي من السمات والتفصيلات ما يجعل منه موقفا وجوديا تواجه الشخصية فيه نفسها وذاتها، في تزامن مع تعرفها على العالم الذي تُلقى فيه - ربما على غير انتظار منها أو توقع - فكأنها على هذا النحو تواجه عرضية الوجود وما يثيره فيها من «غثيان وقلق» التشيؤ، بينما تدرك على نحو أعمق «ذاتها» بوصفها اللاشيء الحر الذي تقوم به الأشياء، ويمكنه بالتبعية أن يتجاوز نفسه ويتجاوز عرضية الوجود في وقت معا، بالاختيار

وتنفيذ الفعل الذي يخلق الماهية بمثل ما يمنح العالم معناه وجدواه، باعتبار أشيائه أدوات الفعل. ومن هنا فإن مرحلة العرض أو المقدمة، تعتبر مرحلة في تيقظ الحواس على معطيات «الموقف» والحيز الذي يشـغله في الزمان والمكان، والشروط الموضوعية التي ينطوي عليها، وتشكل في الوقت نفسه قوانيـن العلاقة بين «الأنا - الآخرين»، بينما يصبـح الحدث الحافز دافعا لاكتشـاف الشـخصية حدود حريتها بما فيها من إمكانات اختيار مفتوحة، ولا يمكن أن تقيد أو تحدد - في الوقت نفسـه - بأي جبرية سـابقة على وجودها في الموقف. والسـمات الأساسـية في هذا الموقف تتجسـد في تنويعات مهمة، يمكن إجمالها في أربعة تنويعات تتردد في الدراما الوجودية سـواء أكان كاتبها سارتر أو ألبير كامي أو جابريل مارسيل، أو غيرهم ممن تأثروا بالوجودية كوسـط ثقافي في السـياق التاريخي نفسـه، ومنهم جان جيردو وجان آنوي، وهذه التنويعات هي: إعادة تعيين المسافة الميلودرامية، وفقدان الذاكرة، والموقف الاستثنائي، وعبء السلطة المطلقة.

أ- فقدان الذاكرة وإعادة تعيين المسافة الميلودرامية

يفاجئنا سارتر في «الذباب»، أول أعماله الدرامية التي كتبها ١٩٤٣، في ظل الاحتلال الألماني لفرنسـا بتكنيك مهم في بناء الموقف الدرامي، يبدو وكأنه إعادة تعيين لما يعرف بالمسـافة الميلودرامية، وهي المسـافة التي دأب عـدد من كتاب الدراما الحديثة على كسـرها والتغلب عليها وتجفيف منابع تأثيراتها النفسية والعصبية في المتلقي، لاسيما أن الميلودراما كانت إرثا مشـتركا بينهم جميعا، سـواء انضووا تحت لواء المدرسـة الواقعية أو الطبيعيـة، أو تيارات غير الواقعية Anti-realistic drama التي شـكلت ما يعـرف بالحداثة Modernism الفنية في أوروبا، من الرمزية إلى التكعيبية

والمســتقبلية، إلى التعبيرية، فالدادية التي اكتســبت أساسها الفلسفي في الســريالية. وكانت الميلودراما تقوم فــي تأثيرها على فصم علاقة القربى والدم بمسافة كبيرة في المكان أو الزمن، وكثيرا ما اقتضى الأمر المسافتين معا، ثم يلتقي من فرقت بينهما هذه المسافة، على نحو يضع علاقات القربى والدم في امتحان التأثير الذي تتهيج معه وتســتثار مشاعر المتفرج وترهف أعصابه، انتظارا لما تسفر عنه في إجهاض «زنى بالمحارم» وإبطال جريمة قتل تخوض في رابطة الدم، أو ستشيب الرؤوس هولا لأي من الجريمتين.

ولكن المسافة الميلودرامية في الأدب الوجودي، تفرغ كلية من تأثيراتها علــى نحو بالغ الأهميــة لبناء الموقف الوجودي، بصفته موقفا يســبق فيه الوجود الإنســاني في الحيز المتعين بالمكان والزمان «هنا - الآن»، ماهيته، فعلاقة القربى ورابطة الدم تغرق في المسافة الميلودرامية وتموت في سياق التاريــخ وتكف بالتبعية عــن أن يكون لها أي نداء منتظر في النفس والوعي والضمير والشعور، فلا يستطيع الابن أن يجد في نفسه شيئا من عاطفة ود، تدفعه إلى أبيه أو أمه أو أخته، أو غيرهم ممن افترق عنهم ســنوات طوالا لا يــكاد يعرف عنهم شــيئا أو يجتمع بهم في تجربة، إلا - ربما - أســماء وذكرى باهتة من طفولة منســية. فلئن كانت الشخصية الوجودية - أي التي تؤمن بســبق وجودها على ماهيتها - تعايش موقفها من نفســها ومن العالم المحيط بها، على أساس من تذويب فعاليات الجبر سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سيكولوجية، بل وتذويب ماضيها نفسه وتعديمه فلا تستعين به في موقفها «هنا - الآن»، فإن المســافة الميلودرامية تهيئ لهذه الشخصية نفســها، شــروطا موضوعية لتحريرها من ضغوط هذه الجبريات مجتمعة ودفعة واحدة، خلافا لما يمكن أن تعانيه منها لو أنها عاشــت في ظلها، أي في ظل علاقات القربى وروابط الدم.

وفي «الذباب» يعود سارتر إلى حلقة أورست من مادة أسطورة «آل آتريوس»

الإغريقية، ليجد المســافة الميلودرامية التي قامت عليها هذه الحلقة، وقد قدمت له أبعاد موقف وجودي جاهز التكوين ما عليه إلا أن يغزوه ويكســوه بفلسفته. أورست فُصم عن مدينة أرجوس منذ نعومة أظفاره في تزامن مع مقتل أبيه أجاممنون على يد ابن عمه إيجســت وعشــيق أمه كلتمنسترا في الوقت نفســه، فقضى صباه وطفولته ومراهقته، حتى أوشك أن يدلف إلى ســن الرشــد وعالم الرجولة، في مدينة أخرى مع مربيه، لا يكاد يعرف عن آرجوس شــيئا، ولا عما يجرى فيها تحت حكم إيجســت، ولا عما آلت إليه أوضــاع أمه أو أخته إلكترا، إلا ما يحكيه له «المربي»، لكن ما الحكايات أيا كان تأثيرها ودرجة صدقهــا، إلا خيوط واهنة أقرب إلى خيوط العنكبوت، لا تبني بيتا ولا تربي شعورا، ولا تلزم بواجب. وهكذا وجد سارتر في عودة أورست إلى آرجوس وهو على مشارف سن الرشد، موقفا وجوديا يقذف به إلى عالمها طليق القدمين خفيف النفس من أي تبعات، بريء الوعي من أي تجربة ممكنة فيه، يمكنه أن يبقى ويمكنه - من ناحية أخرى - أن يرحل عنه مــن دون أن يلومه أحد، فلا أحد يعرفه في المدينة، حتى لو كانت أمه التي تربطه بها رابطة الرحم، ويملأهــا الاعتقاد بأنه مات، أو أخته التي يربطه بهــا الدم، ولكنها لا تعرف عنه إلا ما تولد في خيالها من أوهام تراكمت مع انتظــاره ليثأر لمقتل أبيه ويعيد إليها - وهي الأميرة - كرامتها المهدرة في خدمة فراش العاشقين، وإن كانت لن تتعرف إليه إلا إن اعترف لها بحقيقة العلاقة التي تربطه بها، ومستشــهدا بمربيه، ومن ناحية أخرى من دون أن يلوم نفســه أيضا، فلا ذكرى واحدة تربطه بالمكان بوصفه وطنه أو بالناس باعتبارهم الشعب الذي ينتمي إليه.

وفي ظل الشــروط التي انطوى عليها وجود أورست في آرجوس، يمكنه أن يتأمــل عالمها ويفحص أوضاعها من كثــب، يقترب منها وينفصل عنها، مكتشفا طوال الوقت «ذاته الحرة» وحدود ما يمكن أن يتبلور فيها من خيارات

نابعـــة منها، فلا أحد يمليها عليها من الخارج، أو يمكنه أيضا أن يدعوه إلى أن يتشيأ منكفئا على نفسه في وضعية الندم التي تعيشها المدينة بأسرها، لاسيما وهي توشك - في الحدث الحافز - أن تحتفل بعيد الموتى السنوي الذي يوافق - على مستو آخر - ذكرى مقتل أبيه.

والواقع أن هذه الشـــروط ميزت أورســـت وفعله عـــن أخته إلكترا التي بدت بالغة الســـخط على وضعها وأوضاع آرجوس ، وشديدة الإيمان بعودته والانتقام لمقتل أبيه، فإلكترا تشـــبعت بالســـخط على وضـــع المهانة الذي عاشـــته خادمة لفراش أمها وعشـــيقها الذي اغتصب عرش أبيها، وامتلأت - بحكـــم تواصل وجودها في آرجـــوس - إيمانا بمعتقداتها، ســـواء أكانت عقيـــدة «الندم» التي أفـــرزت الاعترافـــات confessions العلنية بالفضائح والمخازي الأخلاقية، أو بعقيدة الثأر ونداء الدم التي تتصور أنها تقود، إلى جانب اللعنة العائلية، أقدام أورست إلى المدينة وتدوّن على جبينه أنه قاتل إيجست وأمه كلتمنسترا، وما عليه إلا أن يستجيب لما تحدد له سلفا. وعلى هـــذا النحو فالإيمان بالجبرية يقود خطى إلكترا لانتظار أورســـت والتعويل عليـــه، ثم معاونته وتمهيـــد طريقه إلى مخدع العاشـــقين، ولكن لا تلبث أن يغزوهـــا الندم فتتحول عنه ســـاخطة عليه وقد حرمها مـــن مبرر وجودها الوحيد، مما شـــكل - على مســـتوى آخر - المفارقة الدرامية التي حكمت علاقتيهما، فأورست أنجز عمله ليس باعتباره فعل انتقام، لكن باعتباره فعل تحـــرر لذاته من عرضية الوجود في العالم، وتحرير لآرجوس مما يثقلها من «ندم» يدمر بين يديها أسباب الحياة، ويعمق كراهيتها المعلنة للحياة نفسها، على نحو - ربما - يعيد قراءة مفهوم الخطيئة الأصلية، الذي حاولت حكومة «فيشي» أن تكرسه في فرنسا إبان الاحتلال.

ويعود ســـارتر إلـــى تكنيك مســـافة الزمـــان والمكان إلـــى جانب حيلة ميلودراميـــة أخرى، في بناء الموقـــف الابتدائي في آخر أعماله «ســـجناء

الطونا» التي يخترق فيها عالم أســـرة ألمانية تمزقت بين خدمة النازية قبل الحرب وإبانها، وخدمة الحلفاء الذين زحفوا على ألمانيا في نهايتها، ويبدو كأنه يصفي من خلالها حســـاباته مع الحرب ومفهوم المصالح الرأســـمالية التي شـــكلت التاريخ والمناخ النفسي في أوروبا خلال القرن العشرين، سواء فـــي العالمية الأولى والثانية أو حركات التحرر الوطني من الاســـتعمار، بما اكتنفها من أشـــكال مقاومة ومعارك صغيرة أو كبيـــرة، ومظاهر قمع وقهر متفاوتة الشدة. ففي «ســـجناء الطونا» يتشكل موقف «هنا/في بيت الأسرة التي يعد عائلها من رجال الصناعة ويقف على رأس أكبر مؤسســـة صناعية لإنتاج المنشآت البحرية - الآن سنة ١٩٥٩»، لكن أبعاده ترجع إلى ثلاثة عشر عامـــا مضت، أي إلى عام ١٩٤٦، وقت أن أجـــرت قوات الحلفاء محاكمات «نورمبورج» للنازية التي أشـــعلت فتيل الحرب، واقترفت عديدا من الجرائم في معسكرات الاعتقال والتعذيب. فمنذ هـذا التاريخ انسـحب الابـن فـرانتز إلـى حجـرتـــه الخـاصـة فـي البيت وحـرص الأب جـيرلاخ عـلى إخـفـائـه، حـتى لا تدركه المحاكمة لأنه شارك في الحرب على الجبهة الروسية، وعاد في نهايتها إلى البلاد متسللا من بولندا، وقد أسهم فيما تجرى المحاكمات بشـــأنه، وإن لـــم يكن نازيا في يوم من الأيام. ولـــم يكتف الأب بذلك، ولكنه أذاع موت فرانتز في الأرجنتين، واستطاع أن يدبر له شهادة وفاة زائفة سنة ١٩٥٦.

وفي ضوء هذه الأوضاع، تحيا الأســـرة تحت التهديـــد الدائم بالتفتيش المفاجـــئ الذي يمكن أن يســـفر عن العثور على فرانتـــز، ويعاد إليه توجيه الاتهام على جرائم لا يمكن أن تسقط بالتقادم، ويوجه إليها في الوقت نفسه الاتهام بحبس إنســـان والإســـهام في إخفاء مطلوب للعدالة وتزوير محضر رســـمي بموته واســـتعماله. وعلى أي حال لم يكن ثمة ما يبرر- طوال هذه السنوات - أن تفجر الأسرة سرها وتخوض فيما قد يفسد أمنها، مادام الأب

موفور الصحة ثابت المكانة التي تحول دون أن يخضع بيته لتفتيش السلطة، ومادامت ابنته «ليني» تتصل بأخيها الحبيس وتشرف على شأنه وعنايته، فكاد أن يكون مبرر وجودها، إن لم يكن كذلك بالفعل. لكن يتكشف الموقف منذ اللحظة الأولى، عن ملمس ميلودرامي آخر لا يلبث سارتر أن يمتص تأثيره التقليدي، فيما درجت عليه الأسرة من هزل أحيانا وعريهم النفسي بعضهم بإزاء بعض أحيانا أخرى، فمن المؤكد أن الأب أصيب بسرطان الحنجرة ويتهدده بالموت في غضون ستة أشهر على الأكثر، وينبغي أن يرتب أمان بيته أو على الدقة أمان فرانتز مرة ثانية، ولذا يدعو أفراد أسرته - (ابنته ليني - ابنه فيرنر الذي امتهن المحاماة فترة من الزمن، حتى استدعاه أبوه لمعاونته في أعمال مؤسسته منذ ثمانية عشر شهرا، وزوجته جوهانا التي تزوجها من ثلاث سنوات إبان عمله محاميا ناجحا في هامبورج، ولم تشأ أن تعترض على عودته إلى بيته والإقامة فيه كي لا تضعه في اختيار بينها وبين أبيه)، ليفضي إليهم بما استقر عليه من ترتيبات، يود لو أقسموا على الوفاء بها، سواء فيما تبقى له من حياة أو بعد موته.

والواقع أن الترتيبات التي يدعو جيرلاخ أسرته إلى الوفاء بها، بالإغراء تارة وبالغمز الميلودرامي تارة، وإثارة المخاوف لديهم بالتهديدات المحتملة تارة ثالثة، هي التي تشكل بجانب عزلة فرانتز الطويلة، سمات الموقف الوجودي، خصوصا أن هذه العزلة أو المسافة الميلودرامية بتعبير آخر، أعيد تعيينها بحيث تهاوى معها كل ما يعتبر جبريات كامنة في علاقة القربى والدم، بما تقتضيه من واجبات، كما أتاحت لفرانتز فرصة ذهبية - سواء أكانت باختياره أو بالرغم منه - لمعايشة نفسه والماضي، الذي لم يعد قابلا للتعديم وفق تطور فكر سارتر نفسه، ويتنبه ولو تدريجيا لما يعانيه من تجارب نفسية ذات طابع وجودي بشكل جوهري، مثل «غثيان» التشيؤ و«القلق» بمختلف أبعاده الممكنة، ومنها اكتشاف حدود حرية ذاته مقابل ما كان يصدر إليه من أوامر أو يستجيب له من نداء خارجه، بالإضافة إلى

تجربة السقوط في فخ الجبرية وما تنطوي عليه من مفهوم سوء الطوية الذي يجعل منه قدرا لا يود أن يختار، أو يختار بينما يكذب على نفسه ويكذب على الآخرين في الوقت نفسه، لاسيما أن التجربة الرئيسة في ماضيه تقترن بتحول أبيه بين خدمة النازية على الرغم من عدم إيمانه به، وخدمة الحلفاء على الرغم من أنهم احتلوا البلاد وجروا شعبها إلى مهانة المحاكمة، وإن لم يقلوا جرما عمن يحاكمونهم.

إن جيرلاخ يهب ابنه فيرنر رئاسة مؤسسته الصناعية، مقابل القسم على البقاء في البيت، ولكن لئن كان فيرنر أفشى سر أخيه فرانتز لزوجته جوهانا، فإن جوهانا لا تلبث أن تعي أن مطلب الأب يعني البقاء على خدمة ابن يدعون موته لأسباب تجهلها، فلا يملك الأب إلا أن يفصح عن خطته كاملة، خصوصا أنه أدرك أن جوهانا ستكون حجر عثرة بإزاء ترتيباته لأنها لا تسلم، بما يسلم به فيرنر - ولو كارها - من نداء الواجب. فالموقف يتطلب وجود فيرنر دائما بصفته محاميا دارسا للقانون، سواء لمواجهة التفتيش المفاجئ على البيت، أو لمواجهة احتياجات أخيه، خصوصا إذا تعرضت ليني لحادث، وهي التي اعتادت أن تقود سيارتها بسرعة، وعلى الرغم من أن فرانتز لم يفقد عقله فإنه لن يبادر قط بنداء أحد من الخدم، وإن مات في محبسه فحينئذ ستتعفن جثته وتفوح رائحته حتى تزكم الأنوف، ولن تكون إلا الفضيحة التي توقتها الأسرة ثلاثة عشر عاما، ولن يسلم منها فيرنر نفسه ولا زوجته.

وعلى هذا النحو يبني الأب شروط حياة للأسرة ترتهن في حريتها، بموت فرانتز ودفنه في صمت في حديقة البيت، الأمر الذي بدا معه فرانتز قويا - فيما يقول الأب - يعيش في مودة مع الموت، بينما يمسك بين يديه بمصير الآخرين، وتشكك جوهانا:

جوهانا : أيكون فرانتز هكذا؟

الأب : نعم.

جوهانا : ما عساك تعرفه عنه الآن، ثلاثة عشر عاما تقف بينك وبينه.

الأب : نحن أربعة هنا تعلق به مصيرنا، وهو لا يفكر في ذلك.

جوهانا : فيمَ يفكر إذن؟

ليني : (ساخرة وبوحشية في صدق) في الكبوريا.

جوهانا : (ساخرة) طوال اليوم؟

ليني : إن ذلك يستغرقه للغاية[١٥]

وعلى أي حال تعتبر الشروط بمنزلة الحدث الحافز أو نقطة الهجوم، على شبكة العلاقات المستقرة في الأسرة طوال السنوات الثلاث عشرة تقريبا، على نحو يؤدي إلى تفجير التناقض الكامن فيها، وإدماج الماضي بالاسترجاع وإعادة التجسيد في الحاضر، وصياغة الفعل حول سؤال المصير، قبولا لها - طواعية أو غصبا - أو تمردا عليها خصوصا من جوهانا التي لا تكاد تقبلها، مما يوقعها في أحابيل «الأب - ليني» اللذين يزيدانها شغفا بفرانتز، ويدعيان أنها كانت أولى به، على نحو يفصم علاقتها بفيرنر، ويمهد - وإن خسرت الجولة الأولى وعجزت عن دفع فيرنر إلى رفض الشروط والرحيل معها - لتحديها واقتحام عالم فرانتز وتعرية ما ينطوي عليه من أسرار ممكنة ذات مغزى أخلاقي شائك، سواء فيما يتعلق بعلاقته بأبيه أو بأخته ليني أو بأخيه فيرنر، أو بها هي نفسها.

والواقع أن إعادة تعيين المسافة الميلودرامية، في بناء الموقف الوجودي، كان خيارا متاحا في أعمال أخرى لـ سارتر، ففي «الأيدي القذرة» تتعين هذه

(١٥) سارتر، جان بول - سجناء الطونا - ت: محمد رشاد خميس، وماهر فؤاد - مسرحيات عالمية - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر - ع ٦١/ ١٩٦٨ - ص٦٨.

المســافة في الزمن الذي اســتغرقه هوجو في الســجن متهما بقتل هردر، وســواء أكان الزمن سنتين أو عشر سنين، كما يشــار إليه أحيانا، فإنه كان كافيا لأن يتغير هوجو ويقطع صلته بزوجته جيســكا التي كانت بقايا عالمه القديــم بوصفه من أبناء الطبقــة البرجوازية العليا، قبــل أن يتمرد عليها وينضم إلى الحزب الشــيوعي بحثا في نفســه عما يمكنه أن يفعله بنفســه ويخصه فيظل مسؤولا عنه. وعلى مستوى آخر تتغير سياسة الحزب وتنقلب متماثلة مع سياسة هردر الذي كلف بقتله بوصفه خائنا، وإذا بالحزب يتهيأ لتصفيتــه بعد خروجه من الســجن، وقد حــاول أن يتخلص منه عدة مرات في الســجن للسبب نفســه، حيث يتخذ إجراءات تمجيد هردر بصفته رمز السياســة التي ينتهجها. وفي هذا السياق يتبلور الســؤال والفعل الدرامي معا، عما إذا كان هوجو قابلا للاســترداد في الحزب مرة أخرى، ويرتضي التغيرات التي يمكن أن يضفيها على ماهيته بوصفه قاتل هردر، أو أن هوجو ســيأبى عملية الاسترداد المشروطة؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تدفع إلى اســتحضار الماضي وتذكره في أربعة فصول كاملة، تفتيشــا فيه عن تطور علاقــة «هوجو - الحزب»، وتكليفه بالعمل ســكرتيرا لهردر، ليتحين فرصة موائمة لقتله، تلك العلاقة التي تقاطعت مع علاقته الخاصة بزوجته جيسكا التــي لم تكن إلا لعبا وتمثيلا يفتقد الإحســاس بالجدية والعمق في الوقت نفسه، ويبلغ التقاطع بين خطي العلاقات ذروته الممكنة حين يضبط هوجو - بمصادفة بحتة - جيسكا في أحضان هردر، فيقتله، لتتوه في نفسه دوافع الفعل بين الأسباب السياسية والغيرة على زوجته من رجل تصور أنه خدعه بعــد أن أحبه وكاد يثق به وبآرائه. إن ســارتر يتتبــع بدقة بالغة وبرود يكاد يكون معمليا، أدق التفصيلات النفســية في تطور العلاقتين معا، حتى يضع هوجو أمام جريمة توشك أن تكون بلا فاعل، إذا ما ارتضى عملية الاسترداد وشروطها التي تدعوه إليها رفيقته أولجا.

ولا تكاد تختلف المسافة الميلودرامية، حين يعيد توظيفها كتاب وجوديون آخرون، ففي «ســوء تفاهم» التي كتبها ألبير كامي وعرضت في ١٩٥٨، نجد موقفا مماثلا، وإن كان معكوسـا عما في «الذباب»، فالأم والأخت هنا هما اللتـان تتعاونان لقتل الابـن العائد. فقد انفصل يان عـن أمه وأخته مارتا خمســة عشــر عاما، ليجمع لنفســه ثروة طائلة ويحقق مكانة مرموقة في أفريقيا، وربما كانت بينهم طوال هــذه المدة خطابات متبادلة تقوم بمنزلة الحكايات الهشــة التي حكاها المربي لأورست. غير أن يان يعود منقبا في دفاتر ذكرياته القديمة والباهتة في الوقت نفسه، عن أمه وأخته، حتى يعرف أنهما اســتقرتا في مبنى معزول بمنزلة فنــدق للغرباء، ويقرر إخفاء هويته عنهمــا ويهبط الفنــدق بوصفه نزيلا، حتى يعيش فرحــة اللقاء بمضمونها الميلودرامي مضاعفة تهزه هزا. ولكن المســافة الميلودرامية آتت أكلها في الفلســفة الوجودية على غير ما يشــتهي يان فقد نمت خلالها حياة أخرى وأحــلام مختلفة عما يظنه في أمــه وأخته، وفصلت بينهــم وأعمتهم، في الواقــع، بعضهم من بعض، فلا ملامح الوجوه الآنية يمكن أن تُقرأ في ضوء الذكــرى الباهتة عنهــا، ولا رابطة الدم أو الرحم يمكــن أن تعيد ما انقطع بالزمــن أو ترهــف آذانا أصمها حلم الثروة بالجرائــم المتعاقبة. وفي هذا الســياق لن يكون يان بالنســبة إلى أمه وأخته مارتــا إلا نزيلا غنيا وغريبا عنهما، مثلــه مثل غيره من النزلاء الذين تقتلانهم وتســتوليان على ما بين أيديهــم من ثروة ســواء ظلت في جيوبهم، أو أودعوهــا في أمانات الفندق، إنهما - وهنا تكمن المفارقة - تكونان الثروة التي تعينهما على تكلفة السفر إليه في أفريقيا.

وعلى أي حال، من التنويعات الممكنة، على فكرة إعادة تعيين المســافة الميلودراميــة في بناء الموقف الوجــودي، تنويعة فقدان الذاكرة، ففي هذه التنويعة يمَّحي الماضي كلية من الوعي بما اقترن به من مشــاعر وعلاقات

عاطفيـــة متفاوتة العمق والتأثير، فيبدو المرء كأنه ولد من جديد وقذف به إلى العالم، على نحو عرضي، لا يربطه به شيء، ولا يرتبط فيه بشيء، فيتبدى العالم مبهما غائصا في الظلام والصمت الأبدي، مفتوحا - من ناحية أخرى - علـــى عدد من الإمكانات والانتماءات التي يمكن للمرء أن يختار بينها في حرية مطلقة. وفي ضوء هذه التنويعة يكتب جان جيردو رائعته «سيجفريد» (١٩٢٨) ويكتـــب جان أنوي عمله الســـاخر الذي ينطوي على ســـحر خاص بعنوان «مســـافر بلا متاع» (١٩٣٧)، وفي العملين يتبدى أثر الحرب العالمية الأولى واضحا في حساسية الكاتبين الفنية، إذ يفقد جندي فرنسي ذاكرته، وتتاح له الفرصة لأن يبني حياته مرة أخرى بخيارات مغايرة، لا تثقل ماضي طفولته وصباه، وما فيهما من روابط قربى أو صلات دم أو علاقات عاطفية قد يكون لها جوانبها المريرة أو الخبيثة التي يرجى نسيانها. فإذا كان الجندي جاك فرســـتييه يتيح له فقدان الذاكرة أن يصبح سيجفريد الألماني، ويتبوأ بنجاح كبير - في هذا المجتمع الجديد - مكانة مستشـــار الرايخ المحبوب من شـــعبه، إلى أن يفلح صانعه زلتين في استحضار عشيقته جنيفاف لتعيد إليه ذاكرته به إلى فرنســـا، على الرغم من معارضة قادة الجيش والشـــعب، فإن جاك رينو في «مسافر بلا متاع» يصبح جاستون في ملجأ ويبقى فاقدا الذاكرة لثمانية عشـــر عاما، على نحو يتيح له الفرصة لاختيار هويته وصنع ماهيته كيف شـــاء، بين مئات الخيارات التي تطرح نفسها عليه وتشده إليها لتدمج انتماءه فيها، ولذا يكاد يصرخ في وجه فالنتين زوجة أخيه وعشـــيقة صباه التي تحاول أن تشـــده إلى عالمه القديم نفسه: إنني بلاشك الإنسان الوحيد حقا، الذي وهبه القدر الفرصة الســـانحة لتحقيق ذلك الحلم الذي يراود كل إنسان.. إنني رجل، وفي استطاعتي أن أكون - إذا شئت - جديدا جـــدة الطفل، وهـــذا امتياز أرى من الإجـــرام ألا أنتفع بـــه. إني أرفضكم، ليـــس لدي منذ أمس الذي لم أكد أقضيه بينكم، إلا فيض من أشـــياء عني

ينبغي أن أنســاها[١٦]، ويعود ليؤكد في موضع آخر من المواجهة نفســها مع فالنتين: إني عاشق لا يعرف حب عشيقته، عاشق لا يتذكر القبلة الأولى ولا الدمعة الأولى، عاشق ليس أسير أي ذكرى، وسوف ينسى كل شيء غدا، هذه أيضا فرصة نادرة. . إني أنتهزها[١٧].

ب- الموقف الاستثنائي.. وهم السلطة المطلقة

يعد الموقف الاستثنائي من التنويعات التي يبنى عليها الموقف الابتدائي في الدراما الوجودية، خلافا لتنويعة إعادة تعيين المســافة الميلودرامية، أو تنويعة فقدان الذاكرة، وهذا الموقف محمل - في الوقت نفسه - بالشروط الجوهرية ذاتها التي تفقد أيا مما يمكن اعتباره جبريات سابقة عليه، قيمتها ووزنها في تحديد الماهية والتنبؤ بالسلوك. والواقع أن الشروط التي يمكن أن تضع الإنســان في مواجهة حقيقية مع نفســه ومع العالم معا، لا تلتقي أو تتضافــر فيما بينها كثيرا في حياة البشــر، بحيث يمكن أن تكون مألوفة أو معتادة، تتكرر بشــكل يومي، ولكنها تكاد تكون نادرة أو اســتثنائية وغير منتظرة. فالتجارب لا تتماثل مهما تشــابهت في سياق التاريخ، والإنسان لا يمكنه أن يلتمس فعله أو يتنبأ به، حتى لو بتجربة شخصية مشابهة مرت به في الماضي، فهو نفســه قد تغير في الســياق نفسه ووعى ما لم يكن يعيه، وربمــا أمكنه احتمال ما لم يحتمله، وربما صار أضعف مما كان، ومن ناحية ثانية لا يســتطيع أن يعول تعويلا كاملا على ما يتخيله من تصور عن نفسه، فقــد يكون هذا التصور زائفا، ولا يمكنــه أن يلتمس عونا من آخر كائنا من

(١٦) آنوي، جان - مسافر بلا متاع - ت: د. أنور لوقا - روائع المسرح العالمي - المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر - ع٥٦/ ديسمبر ١٩٦٤- ص١٥١،١٥٢.

(١٧) آنوي، جان - مسافر بلا متاع - م. ن - ص١٥٢.

كان، وعلى هذا لا يبقى معه غير نفســه «هنا - الآن»، وما يمكن أن يكتشفه فيهــا من حدود حريتها التي تبقى معها كل الاحتمالات مفتوحة، مما يجعله دائم القلق نحو إنتاج ماهيته في فعله. والموقف الاستثنائي يتسم من ناحية أخــرى بخياراته الحدية، فإمــا أن يكون ذاته بجوهرها الحــر غير القابل للتشــيؤ أو الخداع، أو لا يكون على الإطــلاق، حتى ليبدو وكأنه حصار في مختلف تنويعاته الممكنة مادية كانت أو معنوية. فالقس - على سبيل المثال - قد يتلقى عشــرات الاعترافات يوميا، في مقره الكنسي، بعديد من الآثام التي عليه أن يكتمها وألا يبوح بها أو يســتغلها، وإلا خان ذاته بوصفه قســا ورجل دين، وهذا موقف مألوف وعادي، ولكن أن تختاره زوجته نفسها لتبوح أمامه في مقره الكنســي باعترافات خيانتها الزوجية، فهذا ولا ريب موقف اســتثنائي يضفي تعقيدا غير عادي على حيــاة القس - كما صوره جابريل مارسيل في رائعته «رجل الله» - فإما أن يكون قسيسا ينبغي ألا يبوح بأسرار رعاياه، أو يكون زوجا سمع بأذنيه اعترافا بخيانة زوجته، هي نفسها.

وســارتر في عمله المعنون بـ «موتى بلا قبور» يشــكل موقفا اســتثنائيا بالشــروط ذاتها حين تلقي ســلطة الاحتلال الألماني القبض على كل من «كانوريس - ســوربييه - هنري - الطفل فرانســو ذي الخمسة عشر عاما وأخته الفتية لوسي»، وهم خلية من خلايا تنظيم مقاومة فرنسية في أعقاب قيامهم بعملية فاشلة، إذ يتعرضون تباعا لألوان من التعذيب متزايدة العنف، ليعترف أي منهم علــى الزعيم الذي يقودهم، فيقبض عليه. غير أن موقف التعذيب وما ينطوي عليه من بشــاعة متزايدة لكســر الإرادة، لا يعتبر بحد ذاتــه موقفا اســتثنائيا، فأي منهــم لا يعرف أين الزعيم جان؟ ويشــعر أنه يتعذب مجانا وربما مات عبثا، فليس لديه ما يخفيه ويفخر بإخفائه ويتحمل التعذيــب من أجله. ولكن ما يجعــل الموقف اســتثنائيا بمعنى الكلمة تلك المصادفة التي تقذف جان بينهم بعد أن ألقت القوة الألمانية القبض عليه،

لغير تهمة المقاومة ومناهضة سـلطة الاحتلال، من دون معرفة بالطبع، أنه مـن يبحثون عنه، ولذا فبقاؤه مؤقت والإفراج عنه وشـيك. إن ظهور جان علـى هذا النحـو - وإن تولد عن مصادفة لم يدبرهـا أحد - يضفي على الموقف طابعا أسطوريا واستثنائيا بشروطه الحدية في الوقت نفسه، فإما أن يعترفوا عليه وينقذوا أنفسـهم من التعذيـب، وإما أن يحتملوا التعذيب، ويجـد كل منهم له معنى فيما يخفيه، ويجد شـعورا بالانتصار على معذبيه في صمته، وانتصارا لقضيته ككل. وفي هذا الإطار لا يتردد سوربييه في أن يقذف بنفسه من نافذة حجرة التعذيب، منتحرا حين أحس بجسده ينهار من التعذيب، ويوشك أن يعترف، ولا تتردد لوسي في تسليم عنق أخيها الصغير لقبضة هنري فيخنقه، لأنه هدد بالاعتراف، ولا يجد في صباه ما يعينه على احتمال التعذيب ويلتمس فيه معنى.

وفي «المومس الفاضلة» يتشـكل موقف اسـتثنائي آخـر في حياة ليزا الأمريكية العاهرة التي تعيش من بيع المتعة بجسـدها، إنها تمتهنه مختارة أو بضغط من ظرفها الاجتماعي، وربما وجدت فيه شـيئا يقيم أود حياتها ولـم تكـن مرت - من ناحية ثانية - بما يجعلها تكتشـف حدود حريتها في ذاتها، ولكن ما لبثت أن هاجمها موقف تجد نفسها فيه شاهد العيان الوحيد على جريمة قتل رجل زنجي بيد توماس الأبيض، وتتعرض لعديد من أشكال الإغراء لتغير شـهادتها، بدءا من ألفرد ابن عمة توماس وأحد زبائنها الذي يغريها بالمال وبسـكن جميل على ضفة النهـر، وأن يكون زبونا دائما ثلاث مرات أسـبوعيا، ويسـألها أن تدعي أن توماس قتـل الزنجي لإنقاذها من اعتدائه الجنسـي عليها، ويرى أن الزنجي مذنـب لمجرد أنه زنجي. لكنها تأبى أن تشـهد زورا، وتجد ليزا نفسـها أمام رجل الشرطة الذي يساومها ويهددها باقتيادها إلى السجن بتهمة البغاء الممنوع قانونا، لتغير شهادتها، لكنهـا تأبى أن تخضع للابتزاز والتهديد والمسـاومة. إن ليزا يطلبون منها

لأول مرة أمرا غير جسـدها، وقدرا من المتعة في فراشـها، لكن هل هذا الأمر يخضع لمساومة ومزايدة؟ هل يمكن القذف به في سوق المتعة ويوضع طواعية على الفراش؟ هل يقبل التثمين أصلا؟ أليس الرجل الزنجي إنسانا مثلها، ولماذا تسـترخص حياته في لون بشرته الذي لم يختره منذ ميلاده؟ وتسـترخص حياتها في مهنتها التي تمخضت عنها ظروفُها؟ إن ليز تكتشف في المساومة على شهادتها والضغوط المتتابعة لتعديلها، هذه «الذات» التي تعد حقيقتها، على أنها «لاشيء» حر بحدوده الممكنة التي تتجاوز ما يقترن به من جسـد في الوقت نفسـه، وفيه كرامتها الإنسانية، وما يعد ضميرها الأخلاقي، الذي يأبى عليها أن تزور شهادتها وتكذب فيها.

وفي «جلسة سرية» يتشكل الموقف الاستثنائي باستعارة القبر من ناحية، ومصادفة وضع ثلاثة شـخوص بعضهم في مواجهة بعض من دون أن يعرف أحدهـم الآخر، وليس ثمة ما يبرر أي علاقة ممكنة بينهم، وعلى هذا النحو يتجسـد - في الوقت نفسه - مفهوم عرضية الوجود وعدميته، الذي يتعين علـى كل منهم أن يجد له معنى، ويتجاوزه. إن اسـتعارة القبر تفترض موت جارسـان إثر تلقيه ثلاث رصاصات في صدره عقـب القبض عليه محاولا الإفلات من التجنيد، إلى المكسـيك، بحجة أنه صحافي يدعو إلى السلام، ويود لو استأنف دعوته من هناك، ليس جبنا، بل اتساقا مع مبدئه، وتفترض الاسـتعارة نفسها أن استيل ماتت بداء الصدر، وأن إنيز توفيت بالغاز الذي فتحـت أنبوبتـه فلورنس عليهما. ولكنه قبر اسـتثنائي بكل ما ينطوي عليه من مفردات وطوابق عديدة فوقه، فلا زبانية يسـألون ولا خطافات حديدية يعلقون بها، ولا جمر يلقون فيه، أو سـياط تلهب ظهورهم، لا شيء فيه مما سـمعوا في المعـارف الدينية عن القبور. ولكن فيـه آرائك لا يحبونها من طراز الإمبراطورية الثانية في القرن التاسـع عشر، وفيه مصباح لا ينطفئ قط حتى أن أحدا منهم لا يسـتطيع أن ينعم بترف إغلاق عينيه ولو ثواني،

وفيه جرس يمكن أن يستدعي خادما، إلا أنهم لا يستطيعون أن يعولوا عليه كثيرا - فيما يقول الخادم نفسه - لأنه يعمل بمزاجه، وفيه منضدة لا شيء عليها إلا كتلة صماء لتمثال يجسد حشدا من الناس، وعليهم - من ناحية أخرى - أن يجدوا لهذا المكان بمفرداته معنى ما، ولحياتهم الاستثنائية فيه جدوى.

وككل أعمال سارتر لا شيء يحدث في جلسة سرية، فقط موقف يمتد بمعطيات وشروط موضوعية لا يتطور إلا من خلال استجابة الشخصيات له «هنا- الآن»، وحفزه إلى تذكر ما فات واستعادته «هناك - الماضي»، اكتشافا لأنفسهم ولمعناه وجدوى وجودهم فيه، وما يمكن أن يلتمسوه من حدود حريتهم بلا خداع، ومن مسؤولية عن أفعالهم إزاء أنفسهم وإزاء الآخرين مهما تكشفوا بوصفهم جحيما. على أن «جلسة سرية» - مع تركيزها المفرط وتكثيفها الذي يضفي عليها ضربا من الجمال الكلاسيكي - تُعد من بين أعمال سارتر دراسة متأنية لعلاقة «الأنا- الآخرين»، وما تنطوي عليه من فخاخ السقوط في سوء الطوية، وفي الوقت ذاته الحاجة الملحة إلى الاعتراف بالوجود الذي يهدد من ناحية أخرى بتشيؤ الأنا في مشروع الآخر، على نحو يخلع على العلاقة طابعا إشكاليا، لا مفر منه.

إن لكل من الشخصيات الثلاثة حياته الماضية وأفعاله فيها، التي يمارس معها خداع الذات ويحاول أن يصورها للآخرين باعتبارها اضطرارية ولم يكن له خيار فيها، وهكذا فإن جارسان لا يود أن يجد معنى لدمع زوجته ولا لنظرة الضحية في عينيها، وهو الذي طالما خانها في فراشها، ودعاها إلى خدمة عشيقاته في الفراش نفسه، ولا يود أن يجد علاقة بين «السلام» الذي عاشه مع زوجته على هذا النحو، و«السلام» الذي دعا إليه في الجريدة، وفر كي يستأنفه في المكسيك حين طُلب للتجنيد. وإستيل لا تريد أن تتحمل مسؤولية زيجتها من ثري عجوز، باعتبارها اضطرت إليها

لتنفق على أســرتها الفقيرة، ولا تريد تحمل مســؤولية خيانة الزوج نفسه، فقــد أحبــت، وتعين عليها أن تمنح نفســها لمن تحب، ولا مســؤولية قتلها لطفلها، لأنها خشــيت أن يبعد عنها عشــيقها، ولا تكاد تفهم بالتبعية لماذا فــر منها العشــيق الجديد إلى أحضان أولجا حين علــم منها بما فعلته في طفلها. وإينيز لا تريد أن تتحمل مســؤولية فلورانس بعد أن دمرت علاقتها بزوجها، وجرتها إلى جنس شاذ لم يكد يكتشفه الزوج حتى انتحر، ولا تجد فــي فتح فلورانس صنبور الغاز عليهما - بعد ذلك - إلا حماقة أودت بهما. غير أن المواجهة بين الثلاثة التي بدت محتمة، لا تلبث أن تفسد لعبة خداع الذات أو سوء الطوية، وتحاصر كلا منهم في نفسه بحثا عن الدافع الكامن لأفعاله، بينما يســأل الآخر خلاصا مســتحيلا له. فإستيل تجد خلاصها في جارسان عشيقا يمنح أنوثة جسدها إحساسا متجددا بالوجود، لكنها لا تستطيع أن تمنحه حكما جديا بشجاعته أو جبنه، ولا تقبل في الوقت نفسه شــذوذ إينيز. وإينيز يمكنها منح جارســان حكما صادقا على فعله فتصبح إغــراء لــه، ولكنهــا لا تريد أن تمنحــه خلاصا يريحه ومجرد وجوده كرجل يستقطب إستيل منها، ويؤجل مشروعها الذي تتحقق فيه ذاتها، وهكذا فإن أي علاقة تنشــأ بين اثنين، سرعان ما تسقط في فخ الثالث، فتتشكل دائرة «الأنا - الأنت - الآخر» المغلقة، بما يعنيه الآخر من جحيم وضرورة معا.

*****

نيكرا سوف

المنظر الأول

الديكور: ضفة نهر «السين»، قريبا من أحد الكباري، في ضوء القمر.

المشهد الأول

(المتشرد في نعاس، والمتشردة جالسة تحلم)

المتشردة : أوه!

المتشرد : (وقد استيقظ قليلا) إيه!

المتشردة : يالجماله!

المتشرد : ماذا؟

المتشردة : القمر.

المتشرد : إنه ليس جميلا، نحن نراه كل يوم.

المتشردة : إنه جميل لأنه مستدير.

المتشرد : على كل حال إنه للأغنياء، وكذلك النجوم.

(يضطجع من جديد وينام)

المتشردة : كلمني! كلمني! (تهزه)

المتشرد : ألا تتركينني في سلام!

المتشردة : (منفعلة جدا) هناك! هناك! هناك!

المتشرد : (يفرك عينيه) أين؟

المتشردة : على الكوبري، إلى جوار فانوس الغاز، إنه رجل!

المتشرد : ليس في ذلك غرابة، إنه الموسم الآن.

المتشردة : إنه ينظر إلى القمر.. وهذا يضحكني، فقد كنت أنظر إليه كذلك منذ قليل. إنه يخلع سترته ويطويها. لا بأس به، أليس كذلك؟

المتشرد : على كل حال هو مخلوق ضعيف.

المتشردة : لماذا؟

المتشرد : لأنه يريد أن يغرق نفسه.

المتشردة : إني أحب الغرق، على شرط ألا ألقي بنفسي إلى الماء، بل أنام على ظهري واسترخي فيغمرني الماء من كل جانب، كأنه حبيب صغير.

المتشرد : ذلك لأنك أنثى.. فالذكر الحق حين يخرج من هذا العالم، لابد أن يحدث دويا.. وهذا الصبي لن يدهشني أن يتصرف قليلا مثل النساء. (يعود إلى رقاده)

المتشردة : ألا تنتظر لتراه وهو يقفز؟

المتشرد : هناك متسع من الوقت. ستوقظينني حينما يقرر أمره. (ينام)

المتشردة : (لنفسها) تلك هي اللحظة التي أفضلها، قبل القفز مباشرة، إذ تبدو عليه الوداعة. إنه ينحني وينظر إلى القمر في الماء. والماء ينساب والقمر في مكانه. (وهي تهز المتشرد) إنه يستعد، إنه يستعد! (صوت ارتطام الماء) لقد قفز في عزة نفس... أليس كذلك؟

المتشرد : باه! (ينهض)

المتشردة : إلى أين أنت ذاهب؟

المتشرد : سترته! لقد بقيت هناك، فوق.

المتشردة : لكنك لن تتركني وحدي مع هذا الغريق.

المتشرد : ليس هناك ما يخيفك. إنه في القاع. (يهم بالخروج) «ياللقرف» لم يمت.

المتشردة : ماذا؟

المتشرد : لا شــيء، إنه الرأس الذي يعود إلى الظهور. الرأس وحده، وهذا طبيعي. (يجلس من جديد) فقط، عليَّ أن أنتظر قليلا، إذ مادام هو حيا فلن أمس ســترته، وإلا اعتُبر ذلك سرقة. (يطرقع بلسانه استنكارا)

المتشردة : ماذا؟

المتشرد : لا أحب ذلك.

المتشردة : ولكن ماذا؟ ما هو؟

المتشرد : إنه يعوم!

المتشردة : أوه! إنك لا ترضى عن شيء أبدا.

المتشرد : أنا لا أحب المعاندة.

المتشردة : معاندة أو غير معاندة.. سوف ينجو بجلده.

المتشرد : هذا لا يمنع أنه عنيد. ثم إن الســترة قد ضاعت عليَّ. أنا على الأقل، انتظر حتــى يموت.. ولكني أراهنك أن أول مــار علــى الكوبري لن تكون عنده رقة إحســاس. (يقترب من مربط مركب ويفك الحبل الذي يحيط به)

المتشردة : روبير، ماذا تفعل؟

المتشرد : (وهو يفك الحبل) أفك هذا الحبل.

المتشردة : لماذا؟

المتشرد : (الحركة نفسها) لألقيه إليه؟

المتشردة : ولماذا تريد أن تلقيه إليه؟

المتشرد : ليمسك به.

المتشردة : كف عــن ذلك أيها التعــس... ودع ذلك للمحترفين، فلزام علينا أن نظل كالزهور، نحن المتشردين، ويجب أن نبقى في المؤخرة، وإذا وضعت نفسك في المقدمة فسوف تنال جزاءك!

المتشرد : (مقتنعا) أيتها العجوز، إنك تتحدثين كعليمة بالأمور.

المتشردة : إذن لا تلق إليه بهذا الحبل.

المتشرد : بل لا بد أن ألقيه إليه.

المتشردة : لماذا؟

المتشرد : لأنه يعوم.

المتشردة : (تقترب من حافة الرصيف) كف عن ذلك! كف إذن! أرأيت.. فات الأوان، لقد غرق. نهاية طيبة.

المتشرد : (ينظر بدوره) يالبؤسنا! (يعود إلى النوم)

المتشردة : والسترة؟ ألا تذهب لإحضارها؟

المتشرد : لم يعد لدي دافع لهذا العمل، هاك رجل مات لأنه لم يجد من ينقذه، وهذا يجعلني أفكر في نفســي.. لو أنهم ساعدوني في الحياة... (يتثاءب)

المتشردة : أسرع ياروبير، أسرع!

المتشرد : دعيني أنم.

المتشردة	:	أقول لك أسرع! الحبل! إنه يطفو على سطح الماء من جديد. (تحث المتشرد على النهوض) أيها الوغد! أتترك رجلا في ضائقة؟
المتشرد	:	(ينهض وهو يتثاءب) إذن فقد غيرت رأيك؟
المتشردة	:	نعم.
المتشرد	:	(وهو ينتهي من فك الحبل) لماذا؟
المتشردة	:	لأنه عاد يطفو على سطح الماء.
المتشرد	:	فلتفهموا النساء إذن! (يلقي بالحبل)
المتشردة	:	لقد ألقيت به في المكان المطلوب. (مستاءة) تصور! إنه لا يمسك به!
المتشرد	:	(يسحب الحبل) كلهن سواء! هاك رجل ألقى بنفسه منذ لحظة في الماء، وتريدين أن يدع نفسه يخرج منه بدون احتجاج! ألا تعرفين إذن ما هي الكرامة؟ (يلقي الحبل مرة أخرى)
المتشردة	:	لقد أمسك به! لقد أمسك به!
المتشرد	:	(وقد خاب ظنه) ولم يتظاهر حتى بالاحتجاج ولو قليلا. أقول لك إنه فتى طري العود.
المتشردة	:	إنه يسحب نفسه بمفرده. لقد نجا، ألست فخورا بنفسك؟ إني أحس بالفخر، كأنني أنجبت منك طفلا.
المتشرد	:	أرأيت، ترين أنه ليس في الحياة سوى أشرار الناس. لو أني التقيت مخلوقا مثلي لكي ينتشلني من القذى... (يظهر جورج يقطر ماءً)

المشهد الثاني

الشخصيات نفسها وجورج.

جورج : (مهتاجا) ياعصبة مغفلين.

المتشردة : (في حزن) هذا جزاؤنا!

المتشرد : إنه الجحود الإنساني.

جورج : (يمسك بالمتسـول من سترته ويهزه) وما شأنك أنت أيها البشع؟ أتظن أنك العناية الإلهية؟

المتشرد : لقد اعتقدنا...

جورج : لا شـيء البتـة! الليل مضيء كالنهـار، ولم يكن من الممكن أن تسـيء فهـم نواياي، كنت أريـد أن أقتل نفسي أتفهم؟ هل سـقطتما إلى الحضيض حتى لا تحترما آخر رغبة لرجل يحتضر؟

المتشرد : لم تكن تحتضر.

جورج : بلى، بما أني كنت في طريقي إلى الموت.

المتشرد : لم تكن في طريقك إلى الموت حيث إنك لم تمت.

جورج : لم أمت لأنكما تعديتما على رغبتي الأخيرة.

المتشرد : أي رغبة؟

جورج : رغبة الموت.

المتشرد : لم تكن الأخيرة.

جورج : بل كانت الأخيرة.

المتشرد : كلا، فقد كنت تعوم.

جورج : مرحـــى! كنت أعوم قليلا في انتظار الغرق. لولم تلق إلي بالحبل...

المتشرد : إيه! ولو لم تمسك به...

جورج : لقد أمسكت به لأني كنت مضطرا إلى ذلك...

المتشردة : وما الذي اضطرك؟

جورج : أقول لك: الطبيعة البشرية، فالانتحار ضد الطبيعة!

المتشرد : فأنت تعرف جيدا...

جورج : ماذا أعرف؟ هل أنت من الطبيعيين؟ كنت أعلم جيدا أن طبيعتي سوف تحتج، ولكني كنت قد أعددت العدة لكي يأتي ذلك بعد فوات الأوان: البرد يخفت حياتي. كل شـــيء كان مدبرا مقدما، كل شيء سوى أن يأتي عجوز أحمق فيستغل أضعف مشاعري لنفسه.

المتشرد : لم نكن نفكر في شر.

جورج : وهذا هو عين ما أعيبــه عليكما! كل الناس يفكرون في الشـــر. ألم تكن تستطيع أن تفعل مثل كل الناس؟ لوكنت تفكر في الشـــر لانتظرت مليــا حتى أغرق، ولصعدت إلى الكوبري بعــد ذلك في هدوء لتلتقط الســترة التي تركتهــا هناك. وبذلك كنت أســعدت ثلاثة أشخاص: أنا، الذي كنت سأصبح ميتا، وأنتما الاثنان، لأنكما كنتما ستكسبان ثلاثة آلاف فرنك.

المتشرد : السترة تســاوي ثلاثة آلاف فرنك؟ (يريد أن يتسلل، فيمسك به جورج)

جورج : ثلاثة آلاف على الأقل، وربما أربعة. (المتشــرد يريد أن يتسلل فيمسك به جورج) الزم مكانك! مادمت أنا حيا فملابسي ملكي.

المتشرد : يا للأسف!

جورج : سترة جميلة وجديدة تماما، من الصوف وعلى أحدث طراز، ومبطنة بالحرير، ولها جيوب داخلية! ضاعت منك علـى رغم أنفك، ولسـوف أحملهـا معي إلى المـوت. هل فهمت أيها الأبلـه؟ لقد كانت مصلحتك في أن أموت.

المتشرد : كنت أعرف ذلك ياسـيدي، ولكن لم يكن همي سوى مصلحتك أنت.

جورج : (في عنف) ماذا قلت؟ أيها الكاذب!

المتشرد : كنت أريد أن أسدي إليك خدمة.

جورج : أنت تكذب! (المتشـرد يريـد أن يحتج) ولا كلمة وإلا الضرب.

المتشرد : اضرب ماشئت، إني أقول الحقيقة.

جورج : لقد عشت خمسا وثلاثين سنة، أيها العجوز، وجربت كل الموبقات، وكنت أظن أني عرفت مشاعر الإنسان. ولكـن كان لا بـد أن أنتظر آخر أيامـي لكي يتجرأ مخلـوق فيعلن في وجهي (مشـيرا إلى النهر) وأمام فـراش موتي أنه أراد أن يؤدي لـي خدمة. لا أحد، أتفهم جيدا، لا أحد يسـدي خدمة إلى أحد. لحسن الحظ! كنت تعلم أني سـأصبح أسير معروفك، أنا.. أسـير معروفك! أترى: إني أضحك من ذلك. أفضل أن أضحك من ذلك. (ينتابه شـك ما) خلصني مما أشك فيه، أو تظن مثلا أني أدين لك بحياتي؟ (يهزه) أجب!

المتشرد : كلا ياسيدي، كلا.

جورج : لمن هي حياتي؟

المتشرد : إنها لك.

جورج : (يترك المتشـــرد) نعم، أيها العجوز، إنها لي، ولا أدين بها لمخلوق، ولا حتى لوالديَّ اللذين كانا ضحية خطأ في الحســـاب. من الذي أطعمنـــي ورباني، من الذى واســـى أحزاني الأولى؟ من الذي حماني من أخطار العالم؟ أنا، أنا وحدي! إني أدين بكل شـــيء لنفســـي وحدهـــا. أنا صنيع أعمالي. (يمســـك المتســـول من تلابيبه) قل لي الســـبب الحقيقي الذي دفعك! أريد أن أعرفه قبل أن أموت.

النقـــود، هيـــه؟ أكنت تظـــن أني ســـأعطيك بعض النقود؟

المتشرد : يا سيدي، من ينتحر يقتل نفسه لفقره.

جورج : إذن، لا بد أن هناك شـــيئا آخر. (يلتمع ذهنه فجأة) فهمت، ذلك أنكما شيطانان تملؤهما الكبرياء.

المتشرد : (مأخوذا) نحن؟

جورج : قلت في نفسك «هاك رجل ذو قيمة، مهندم محترم، يوحي وجهه – ولو أنه ليس شديد الوسامة – بالذكاء والحيوية، ومن المؤكد أن هذا السيد يعرف ما يريد. وإذا كان قـــد قرر وضع نهاية لأيامه فلا بد أن يكون ذلك لأســـباب قوية، حســـن، أنا، أنا فـــأر البلوعة، الخنفساء، كل الحشرات الموجودة ذو العقل المتعفن، أنـــا أرى أكثـــر وضوحا مـــن هذا الرجـــل، وأعرف مصلحته كما لا يعرفها هو، وأقرر مكانه أن يعيش!» أليس هذا من الكبرياء؟

المتشرد : يا ربي..

جورج : نيـــرون كان ينتزع العبيد مـــن أحضان زوجاتهم لكي يلقي بهم إلى السمك. وأنت، أشد قسوة منه، تنتزعني من الســـمك لكي تلقي بي إلى الإنســـان. ألم تسأل نفســـك، على الأقل: ماذا يريـــد أن يفعل بي أولئك الرجال؟ كلا، فأنت لم تتبع ســـوى هواك. يا لفرنسا المســـكينة، ماذا عســـاها أن تصبح لو أن متشرديها حققوا لأنفسهم شهوات الإمبراطور الروماني!

المتشرد : (مرتعبا) يا سيدي...

جورج : نعـــم، الإمبراطور الرومانـــي! إن متعتكم الكبرى هي أن تضيعـــوا الموت على أولئـــك الذين ضاعت عليهم حياتهم. فأنتم قابعون فـــي الظلام تتربصون بالذي يئس من حياته لكي تديروا شؤونه.

المتشرد : أي شؤون؟

جورج : لا تتظاهر بالبراءة يا كاليجولا! لكل منا شؤونه، ونحن نطرب حين يعـــرف كل منا كيف يديرها. لقد دفعت ثمن تجاربي، فلقد لعبت هذه اللعبة عشـــر سنوات. فقط، لم أكن الذي ينقض، كما تفعلون، على الأطفال الشهداء والفتيات المخدوعات والآباء العاطلين. كنت أذهب إلى الأغنياء في بيوتهم، في عظمة سطوتهم، وأبيـــع لهم الهـــواء، آه! إن الحياة لعبـــة بوكر، فورقة الســـبعة المضاعفة تكســـب ورق كاريـــه آس، مادام شـــخص متمثل بكاليجـــولا وقح مثلك يســـتطيع أن يلعب بي في ضوء القمر، أنا الذي كنت ألهو بعظماء الرجال! (فترة صمت) حســـن وبعد، سألقي بنفسي إلى الماء. طابت ليلتكما.

المتشرد والمتشردة	:	طابت ليلتك.
جورج	:	(يعود إليهما) لن تعيدا الكرة؟
المتشرد	:	نعيد الكرة..؟
جورج	:	نعم، هذا الحبل لن...
المتشرد	:	أوه ! إن كان ذلك فاطمئني ! أقسم لك أننا لن نعيد الكرة.
جورج	:	وإذا ترددت؟
المتشرد	:	سنفرك أيدينا.
جورج	:	وإذا استغثت؟
المتشرد	:	سنغني لنغطي على صوتك.
جورج	:	عظيم! هذا عظيم! (لا يتحرك)
المتشرد	:	عمت مساء.
جورج	:	كم من الوقت ضاع! كان لا بد أن أكون ميتا منذ عشر دقائق.
المتشرد	:	(في حياء) أوه يا سيدي، عشر دقائق، لا قيمة لها.
المتشردة	:	حينما تكون الأبدية أمام المرء، مثلما هي أمامك.
جورج	:	حبذا لو أراكما فيها! لقد كانت الأبدية أمامي، هذا حق. ولكني تركتها تفلت مني لسوء تصرفكما، ولم أعد أعرف كيف أدركها.
المتشرد	:	لا أظن أنها بعيدة.
جورج	:	(مشيرا إلى النهر) لا تبحث عنها، إنها هنا. والمسألة هي أن نلحق بها. افهمني، لقد كان عندي الحظ

النـــادر أن أمـــر على الكوبري، وأن أكون يائســـا في الوقت نفسه، وهذه المواكبة للأمور يصعب أن تحدث كثيرا، والدليل على ذلك أني لم أعد على الكوبرى.. وإنـــى آمل - أقول آمل - أن أكون لاأزال يائســـا. آه! هاهم!

المتشرد : (يقفز فزعا) من؟

جورج : مبررات تفكيري في المـــوت (يعد على أصابعه) كلها موجودة.

المتشرد : (مســـرعا) نحن لا نريد أن نستبقيك ياسيدي، ولكن مادمتَ وجدتها...

المتشردة : (توا) فإذا لم يكن في ذلك تطفل منا...

المتشرد : (توا) يسرنا أن نعرفها.

المتشردة : (توا) نحن نرى غرقى كثيرين هذه الأيام.

المتشرد : (توا) ولكن لا تتاح لنا كل يوم فرصة الحديث معهم.

جورج : أغربي أيتها النجوم. وأنت أيتها الســـماء لم تعد لك حاجة إلى القمر. نحن البشـــر في حاجة إلى شمس تعلو الشمس كي نتكشف حقيقة السخف الإنساني. (للمتشـــردين) كيف تسمحان لأنفســـكما بأن تطلبا مني معرفة دواعي موتي؟ إنه أنا أيها البائســـان، أنا الذي أطلب منكما معرفة دواعي حياتكما.

المتشرد : دواعي حياتنا... (للمتشردة) أتعرفينها أنت؟

المتشردة : كلا.

المتشرد : نحن نعيش هكذا... هكذا...

المتشردة : مادمنا وُلدنا علينا أن نستمر أحياء حتى القضاء.

المتشرد : إننا ندرك النهاية دائما، ولا داعي لنا للقضاء قبل الميعاد.

جورج : ستدركانها، ولكن في أي حال؟ ستصبحان جيفة قبل أن تصبحا جثتين هامدتين. اغتنما هذه الفرصة التي أقدمها لكما. أعطياني أيديكما ولنقفز معا، فالموت ثلاثةً يصبح حفلا مسريا.

المتشردة : ولكن لماذا نموت؟

جورج : لأنكما قد سقطتما، فالحياة ما هي إلا حالة فزع في مسرح يشتعل نارا. كل امرئ يبحث عن باب الخروج ولا أحد يجده. وكل الناس تتخبط في كل الناس. ويا لتعاسة من يسقطون. تطؤهم الأقدام على الفور.. هل تشعران بثقل أربعين مليونا من الفرنسيين يدوسون على وجهيكما؟ أما أنا فلن يدوس أحد على وجهي. لقد اعتديت على كل جيراني، وأنا اليوم حطام. حسن، طابت ليلتكما. إني أفضل أن أدخن على أن تسحقني الأحذية. أو تعرف أني حملت السم طويلا في فص خاتم؟ يا له من طيش: كنت أعد من الأموات، وكنت أرسم الخطط فوق مستوى القدرة الإنسانية وأتأملها بعين فنية مجردة. أي زهو كان يملؤني. أنا صاحب الأمر في مولدي وموتي، وكما أني كنت صنيع أعمالي فأنا أيضا قاتل نفسي. لنقفز أيها الرفاق. إن الفارق الوحيد بين الرجل والحيوان هو أن الرجل يستطيع اقتراف قتل نفسه، أما الحيوان فلا. (يحاول أن يجر معه المتشرد)

المتشرد : اقفز أنت أولا ياسيدي، أريد أن أفكر.

جورج : لم أقنعك إذن؟

المتشرد : ليس تماما.

جورج : حقا، لقد آن الأوان لكي أتلاشى من الوجود: إني أنحدر فلم يكن أمامي سوى أن أتكلم لكي أقنع. (للمتشردة) وأنتِ؟

المتشردة : كلا.

جورج : كلا!

المتشردة : بصراحة ومن دون تكليف.

جورج : هيا تعالي. ستموتين بين ذراعي فنان. (يحاول أن يجرها)

المتشرد : امرأتي، يا إلهي، امرأتي، إنها لي، إنها زوجتي! النجدة! النجدة!

جورج : (يترك المتشردة) اسكت أنت. سيسمعونك. (أضواء على الكوبري ومن بُعد. صوت صفارات)

المتشرد والمتشردة : (يريان أضواء البطاريات الكهربائية) الشرطة!

جورج : إنه أنا الذي يبحثون عنه.

المتشرد : هل أنت ممن يقتحمون المنازل؟

جورج : (وقد أهين) أو لي هيئة اللص أيها الرجل الطيب؟ ما أنا إلا نصاب. (صفارات. متفكرا) الموت أو خمس سنوات أشغالا شاقة؟ هذه هي المسألة.

المتشرد : (ينظر إلى الكوبري) يبدو عليهم أنهم يريدون النزول.

المتشردة : ماذا قلت لك ياروبير؟ سيقبضون علينا كشريكين

له في جرائمه، وسـيضربوننا حتى الموت. (لجورج) أتوسـل إليك ياسـيدي، إن كان لايزال في نيتك أن تقتل نفسك فلا تتحرج من أجلنا. بل سنكون شاكرين لـك هذا الفضل إن اتخذت قرارك قبلما يقبع رجال الشـرطة على صدورنا. نرجوك ياسـيدي، قدم لنا هذه الخدمة.

جورج : أنـا لم أقدم خدمة لمخلوق قـط. ولن أفعل ذلك في يوم موتي (المتشـرد والمتشردة يتشـاوران بالنظر ثم ينقضان على جورج ويحـاولان دفعه إلى الماء) هيه، لا! ماذا تفعلان؟

المتشرد : نحن نساعدك يا سيدي.

المتشردة : وحيث إن أهم شيء هو الخطوة الأولى...

المتشرد : فنحن نريد أن نسهلها عليك.

جورج : ألا تتركانني؟

المتشرد : (وهو يدفعه) لا تنسَ أنك على الأرض ياسيدي.

المتشردة : قد وقعت وانتهيت وضعت!

المتشرد : وسيمشي الناس على وجهك.

جورج : وهل تدفعان طفلكما إلى الغرق؟

المتشردة : طفلنا؟

جورج : أنا طفلكما. وقد قلت أنت ذلك منذ لحظة. (يدفعهما عنه فيوقعهما أرضا) لي حقوق عليكما أيها القاتلان! عليكمـا أن تحميا الابن الـذي دفعتما به إلى العالم على غير رغبة منه! (ينظر إلى اليمين وإلى اليسار) هل لدي الوقت للهرب؟

المتشرد : إنهم قادمون من الجانبين.

جورج : إذا ألقوا القبض عليَّ فسيضربونكما. إذن مصلحتي هـي مصلحتكما. هذا ما أحبه: أن يكون في إنقاذي إنقاذكما، وهكذا لن أكون مدينا لكما بشيء، ولا حتى العرفان بالجميل. ما هذا؟ (يشير إلى بقعة سوداء على الرصيف)

المتشرد : إنها ثياب زائدة للغيار.

جورج : أعطني إياها. (يعطيه المتشرد إياها) حسنا! (يخلع سرواله ويرتديها) أي قذارة، إنها مملوءة بالقمل. (يلقي بنطلونه في النهر) دلكوني.

المتشرد : لسنا خادمين لك.

جورج : أنتما أبي وأمي. دلكاني وإلا الضرب. (يدلكانه هاهم.. أقبلوا، سأستلقي وأنام. قولا إنني ابنكما. (يستلقي)

المتشرد : لن يصدقونا.

جورج : سيصدقون إن تحدثتما من قلبيكما.

المشهد الثالث

السابقون والمفتش جوبليه واثنان من الشرطة.

المفتش : مساء الخير يا أحبائي.

المتشرد : (تذمر مبهم) إيه... إيه!

المفتش : من الذي صرخ؟

المتشردة : متى؟

المفتش : منذ لحظة.

المتشردة : (مشيرة إلى زوجها) لقد كان هو.

المفتش : ولماذا كان يصرخ؟

المتشردة : كنت أضربه.

المفتش : أحق ما تقول؟ أجب! (يهزه)

المتشرد : لا تلمسني. نحن في ظل حكم جمهوري، ولي الحق أن أصرخ كلما ضربتني امرأتي.

المفتش : صه! صه! كن حليما، رقيقا: أنا من الشرطة.

المتشرد : أنا لا أخاف الشرطة.

المفتش : وهذا خطأ.

المتشرد : لماذا؟ لم أرتكب سوءا.

المفتش : فلتثبت ذلك.

المتشرد : عليك أنت أن تثبت أنني متهم.

المفتش : ليس أحب عليَّ من ذلك، ولكن الشرطة فقيرة. فنحن نفضل الاعترافات التي لا تكلف شيئا على الأدلة التي لا تقدر بثمن.

المتشرد : أنا لم أعترف بشيء.

المفتش : ستعترف، كن مطمئنا. وسيتم كل شيء بالقانون. (للشرطيين) احملاهما معكما.

الشرطي الأول : وبماذا سنجعلهما يعترفان أيها الرئيس؟

المفتش : حسنا! جريمة يونتواز وسرقة شارانتون. (الشرطيان

يجران المتشـــردين) قف! (يتقدم من المتشردين، وفي لطف) ألا يمكن أن نســـوي المســـألة كأصدقاء نحن الثلاثة؟ سيؤسفني إن أساء أحد إليكما.

المتشردة : نحن لا نطلب أحسن من ذلك يا سيادة المفتش.

المفتش : إني أبحث عن رجل عمره ٣٥ ســـنة، طوله متر وثمانية وسبعون سنتيمترا، شعره أسود، عيناه رماديتان، يرتدي بدلة من التويد وهو غاية في الأناقة. هل رأيتماه؟

المتشرد : متى؟

المفتش : هذة الليلة.

المتشرد : أنا!؟ شرفا لم أره. (للمتشردة) وأنت؟

المتشردة : أوه، كلا! رجـــل جميل إلى هـــذه الدرجة، تعلم جيدا أني لو كنت رأيته لما نسيته. (جورج يسعل)

المفتش : من هذا؟

المتشردة : إنه ولدنا الكبير.

المفتش : لماذا تصطك أسنانه؟

المتشردة : لأنه نائم.

المتشرد : وحينما ينام تصطك أسنانه، وهذا يحدث له منذ طفولته.

المفتش : (للشـــرطيين) هزاه. (الشـــرطيان يهزان جورج الذي يعتدل ويفرك عينيه)

جورج : حينما يكون للمرء سحنة كسحنتنا، فلا داعي لإيقاظ الناس عنوة.

المفتش : أنا المفتش جوبليه. كن مؤدبا.

جورج : مؤدب؟ لم أفعل شيئا. وأنا رجل شريف جدا ومؤدب. (للمتشردة) كنت أحلم يا أمي.

المفتش : ولم توقظك صرخات أبيك؟

جورج : هل صرخ؟

المفتش : كخنزير يذبحونه.

جورج : إنه يصرخ في كل وقت، وقد تعودت ذلك.

المفتش: : في كل وقت؟ لماذا؟

جورج : لأن أمي تعذبه دائما.

المفتش : تعذبه، ولا تمنعها أنت من ذلك؟ ولماذا؟

جورج : لأني في صف أمي.

المفتش : هل رأيت رجلا طويلا أسمر، وله عينان رماديتان ويرتدي بدلة من التويد؟

جورج : نعم رأيته، هذا الوغد! إنه هو الذي كان يريد أن يلقي بي في الماء.

المفتش : متى؟ أين؟

جورج : في منامي.

المفتش : أيها الأبله (يدخل الشرطي مهرولا)

الشرطي : لقد وجدنا سترته على الكوبري.

المفتش : إذن فقد قفز إلى الماء. أو أنه يريدنا أن نعتقد ذلك. (للمتشردين) هل سمعتما شيئا؟

المتشردة : كلا.

المفتش : (للشرطيين) أتظنان أنه غرق في الماء؟

الشرطي الأول : لا أظن.

المفتش : وأنا أيضا. إنه وحش كاسر هذا المخلوق، وسيحاربنا حتى آخر أنفاسه. (يجلس على حافة الماء) اجلسا يارفاق. أجل، أجل، اجلسا. نحن جميعا متساوون أمام الفشل. (يجلس الشرطيان) لنستمد الراحة من مشاهدة الطبيعة. يا لجمال نور القمر! أترى الدب الأكبر؟ أوه! والأصغر! في هذه الليلة البديعة تصبح مطاردة الرجال متعة.

الشرطي الأول : يا للأسف!

المفتش : تعرف، لقد قلت ذلك للرئيس. قلت له: «ياسيدي، أفضل أن أقول لك إني لن أقبض عليه!». إني لا أتصف بالقوة ولا يخجلني ذلك. فالعاديون منتشرون على الأرض. أعطني قاتلا عاديا وأنا أقبض لك عليه في أقل من لمح البصر. فعديمو القوة يفهم بعضهم بعضا ويقدر بعضهم بعضا. ولكن هذا الرجل أنا لا أشعر به. إنه نصاب العصر، الرجل الذي لا وجه له. لقد ارتكب مائة واثنتين جريمة احتيال، ولم ينل حكما واحدا، ماذا أفعل؟ إن العبقرية تحرجني إذ لا أستطيع تبينها. (للشرطيين) أين هو؟ ماذا يفعل؟ ما هي ردود الفعل عنده؟ وكيف تريدني أن أعرف. هؤلاء ليسوا من طينتنا (ينحني إلى الإمام) يا إلهي! ما هذا؟ (يتناول السروال) سرواله؟

الشرطي الأول : لا بد أنه تخلص منه لكي يعوم.

المفتش : مستحيل. لقد وجدته على الدرجة الثالثة من السلم، فوق سطح الماء. (جورج يتحرك إلى اليسار ويختفي) انتظرا قليلا. لقد خلع ملابسه هنا، وكان عليه أن

يجد غيرها.. وهذه الملابس... تبا له! (يستدير إلى المكان الذي تركه جورج) اقبضوا عليه! اقبضوا عليه! (يبدأ الشرطيان في العدو)

المتشرد : إيرما؟

المتشردة : روبير؟

المتشرد : هل فهمت؟

المتشردة : فهمت. أعطني يدك.

المتشرد : وداعا يا إيرما.

المتشردة : روبير، وداعا.

المفتش : (يستدير إليهما) أما أنتما أيها الوغدان... (المتشردان يقفزان في الماء وأيديهما مشابكة) أخرجوهما من الماء! أخرجوهما... اقبضوا عليه! اقبضوا عليه! (يسرع الشرطيان فيلقيان بأنفسهما في الماء. المفتش يمسح جبهته من العرق) لقد قلت حقا إني لن أقبض عليه.

(ستار)

المنظر الثاني

الديكـور: مكتب جول بالوتان مدير جريدة «سـوار آباري» (مسـاء في باريس)، مكتب كبير له، ومكتب صغير للسـكرتيرة. مقاعد، تليفون... إلخ، ملصقات لسواري. مرآة. على الحائط ثلاث صور لبالوتان.

المشهد الأول

جول والسكرتيرة.

جول : (ينظر إلى صور فوتوغرافية له) إنها تشبهني كفاية. ما قولك؟

السكرتيرة : إني أفضل هذه.

جول : تناولي دبابيس وسنعلقها كلها على الحائط. (يعلقان الصور على الحائط وهما يتكلمان)

السكرتيرة : لقد انعقد مجلس الإدارة.

جول : متى؟

السكرتيرة : أمس.

جول : من دون إخطـاري؟ هذا لا ينتظر منـه خير. وماذا قالوا؟

السكرتيرة : لقد حاول لوسيان أن يسـتمع، لكنهم كانوا يتكلمون بصوت خافت جدا. وحين خروجهم قال الرئيس إنه سوف يمر عليك اليوم ليراك.

جول : الموضوع شائع يا فيفي، الموضوع شائع. هذا العجوز النحيل يريد رقبتي. (تليفون)

السكرتيرة	:	آلو... نعم، حســن يا سيدي. (لجول) ماذا قلت لك؟ إنه هو: يسأل إن كنت تستطيع استقباله بعد ساعة.
جول	:	مؤكد، مادمت لا أستطيع منعه.
السكرتيرة	:	نعم يا سـيدي الرئيس. حســن يا سـيدي الرئيس. (تعيد السـماعة) بخيل! مراب! أبرص! (طرق على الباب) ماذا هناك؟
		(يفتح الباب ويبدو سيبيلو)

المشهد الثاني

سيبيلو وجول والسكرتيرة.

جول	:	أهو أنت يا سـيبيلو؟ ادخل. ماذا تريد؟ إني أمنحك ثلاث دقائق فقط. (يدخل سيبيلو) اجلس. (جول لا يجلس أبدا، بل يقطع الحجرة سيرا) وبعد؟ تكلم.
سيبيلو	:	منذ سبع سنوات يا سيدي قررتم أن تكرسوا الصفحة الخامسة لمحاربة الدعاية الشيوعية. وقد شرفتموني حينمـا عهدتم إلي بها كاملـة. ومنذ ذلك التاريخ وأنا أفني نفسـي في هذه المهمة. أنـا لا أبالي إن كنت قد فقـدت صحتي وشـعري وبشاشـتي. وإذا وجب، في سـبيل خدمتكم، أن أصبح أكثر تعاسة وحنقا من ذلك لما ترددت لحظة واحدة. ولكن هناك أمرا لا أسـتطيع التراجـع فيه مـن دون أن تعاني الجريدة نفسـها من ذلك: إنه الضمان المادي. إن الكفاح ضد الانفصاليين الخارجـين على الدولـة يتطلب الاختـراع والتكتيك والحساسية، ولكي نؤثر في النفوس فأنتم تعلمون أنه

يجب على المرء أن يكون إلى حد ما خصب الخيال. وهذه الخصال لا تنقصني والحمد الله، ولكن كيف أبقي عليها إذا كانت الهموم الخارجية تطحنني؟ كيف أنتقم بالسخرية اللاذعة، والملاحظة القارصة، والكلمة التي لا ترحم.. كيف أصور الفاجعة الخطيرة التي تهددنا، وأتنبأ بنهاية العالم إذا كان حذائي يتسرب إليه الماء، ولا أستطيع إصلاحه.

جول : كم تكسب؟

سيبيلو : (مشيرا إلى السكرتيرة) اطلب إليها أن تخرج. (ينظر إليه جول في دهشة) أرجوك، فقط لحظة واحدة.

جول : (للسكرتيرة) اذهبي لإحضار «البروفة». (تخرج) ما الذي يمنعك من الكلام أمامها؟

سيبيلو : يخجلني أن أصرح بما أكسب.

جول : هل هو كثير جدا؟

سيبيلو : بل قليل جدا.

جول : كم إذن؟

سيبيلو : سبعون ألف فرنك.

جول : سنويا؟

سيبيلو : كل شهر.

جول : ولكنه أجر محترم جدا، ولا أرى فيه ما يخجلك.

سيبيلو : إني أقول للجميع إني أكسب مائة.

جول : حسنا! استمر. أنا أسمح لك بأن ترفع الرقم إلى مائة وعشرين. سيظنون أنك تكسب تسعين.

سيبيلو : شكرا ياســيدي... (فترة) أو لا تستطيع أن تعطيني هذا المبلغ حقيقة؟

جول : (يقفز فزعا) المائة والعشرين؟

سيبيلو : أوه! كلا. التســعين. منــذ خمــس ســنوات وزوجتي في المستشفى، ولم أعد استطيع أن أفي بحاجتها إلى العلاج.

جول : (يمسك بجبهته) هل مرضها... (سيبيلو يصدق على كلامه بالإشارة)... مما يســتعصي علاجه؟ (إشارة جديدة بالمصادقة) يا لك من مسكين. (فترة) وابنتك؟ كنت أظنها تساعدك.

سيبيلو : إنها تفعل ما تســتطيعه، ولكنها ليســت غنية. ثم لا توافقني على أفكاري.

جول : لا دخل للأفكار في النقود.. ماذا تقول؟

سيبيلو : ذلك أنها... تقدمية.

جول : هيا! هيا! ستشفى من ذلك بعد حين.

سيبيلو : وإلى ذلك الحين تجد أن ميزانيتي مرتبطة بما أقوله عن موســكو، وهذا أمر يثقل على نفسي من يحترف العداء للشيوعية.

جول : على العكــس، إنك تؤدي واجبك، ومادمت تســيطر على ما تقوله في موسكو فأنت لن تضار.

سيبيلو : وحتى بما أقوله عن موســكو، فنهاية كل شهر عندي كالكابوس.

جول : (وقد انتابه شك) انظر إليّ يا سيبيلو. في عيني. في عيني. مباشرة. هل تحب مهنتك؟

سيبيلو : نعم يا سيدي.

جول : وأنا يا صغيري، هل تحبني؟

سيبيلو : نعم يا سيدي.

جول : إذن قل ذلك.

سيبيلو : سيدي، أحبك.

جول : خير من ذلك.

سيبيلو : أحبك.

جول : برود! برود! برود! سيبيلو، إن جريدتنا هي الحب، فهي حلقة الاتصال بين الطبقات، وأنا أريد أن يعمل زملائي فيها ودافعهم إلى ذلك هو الحب. ولو كنت أشك في أنك تؤدي وظيفتك طمعا في الربح لما أبقيت عليك لحظة واحدة أكثر من ذلك.

سيبيلو : تعلم يا سيدي أن الفرصة لممارسة الحب في الصفحة الخامسة... ليست متوافرة دائما.

جول : هذا خطأ ياسيبيلو! ففي الصفحة الخامسة تجد الحب بين السطور. إنك تجاهد حبا في الحب ضد الأوغاد الذين يريدون تعطيل الإخاء بين الطبقات بأن يمنعوا البرجوازية من أن تضم إليها مكملتها البروليتاريا. إنها مهمة عظمى، وأنا أعرف أناسا يتخذون من ملء هذه الصفحة واجبا من دون مقابل. وأنت؟ أنت الذي شاء حظك السعيد أن تخدم أنبل القضايا، وتنال فوق ذلك أجرا عاليا. تجرؤ على طلب علاوة مني؟ (تدخل السكرتيرة بالجريدة) دعنا الآن، وسأدرس حالتك بعين الرعاية.

سيبيلو : شكرا يا سيدي.

جول : أنا لا أعدك بشيء.

سيبيلو : شكرا يا سيدي.

جول : سأناديك حينما أكون قد اتخذت قراري. إلى اللقاء يا صديقي.

سيبيلو : إلى اللقاء يا سيدي. شكرا. (يخرج)

المشهد الثالث

جول والسكرتيرة.

جول : (للسكرتيرة) إنه يربح سبعين ورقة في الشهر، ويريد مني أن أرفع أجره. ماذا تقولين في ذلك؟

السكرتيرة : (محتجة) أوه!

جول : لا تدعيه يطأ أرض هذه الحجرة بعد الآن. (يتناول الجريدة ويتصفحها) أوه ! أوه! أوه! (يفتح باب مكتبه) تافرنييه.. بيريجور.. اجتماع الصفحة الأولى. (يدخل تافرنييه وبيريجور. تخرج السكرتيرة)

المشهد الرابع

جول وتافرنييه وبريجور والسكرتيرة.

جول : ماذا هناك يا أبنائي؟ هموم غرامية؟ متاعب صحية؟

تافرنييه : (في دهشة) لا أعتقد...

بيريجور : (في دهشة) لا أظن...

جول : إذن فلم يعد أحد يحبني؟

تافرنييه : أوه! جول.

بيريجور : أنت تعلم جيدا أن الجميع يهيمون بك.

جول : كلا، أنتم لا تهيمون بي. أنتم تحبونني قليلا لأني لطيف، ولكنكم لا تهيمون بي. ليس الحماس هو الذي ينقصكم، بل هي حرارة العاطفة. في عروقي تسري النيران، ويحيطني أناس فاترون: تلك هي تعاستي الكبرى.

تافرنييه : ماذا فعلنا ياجول؟

جول : لقد ضربتم الصفحة الأولى بوضعكما مانشيتات تضحك منا السِفلة.

بيريجور : وماذا يجب أن نضع أيها الرئيس؟

جول : أنا الذي أسألكم يا أبنائي. اقترحوا! (صمت) ابحثوا جيدا. أريد مانشيتا يتناقله الناس، مانشيتا ذريا! لقد مضت علينا ثمانية أيام ونحن راكدون.

تافرنييه : يمكن تناول موضوع المغرب.

جول : كم قتيلا؟

بيريجور : سبعة عشر.

جول : آه! اثنان زيادة على أمس. ينشر في الصفحة الثانية، والعنوان هو «مراكش: مظاهرات ولاء مؤثرة». وعنوان صغير «العناصر الشريفة من الشعب لا تؤيد

(*) كرات حديدية تلقى من مسافات لقياس قوة الدفع والأبعاد، وهي لعبة منتشرة في أوروبا في الساحات الخضراء والحدائق العامة.

المتمردين». هل لدينا صورة للسلطان السابق وهو يلعب لعبة الكرات؟(*).

تافرنييه : في الأرشيف.

جول : في الصفحة الأولى. في الوسط تعليق على الصورة: «يبدو أن سلطان مراكش السابق قد اعتاد إقامته الجديدة».

بيريجور : كل هذا لا يعطي المانشيت الكبير.

جول : هذا حق. (يفكر) أدينهاور؟

تافرنييه : لقد تشاحن معنا بالأمس.

جول : نزدريه، ولا كلمة. الحرب؟ كيف حالها اليوم؟ باردة؟ ساخنة؟

بيريجور : لا بأس بها.

جول : فاترة، باختصار. إنها تشبهكما. (بيريجور يرفع إصبعا) لديك عنوان؟

بيريجور : «شبح الحرب يبتعد».

جول : لا، يا أبنائي، لا. ليبتعد شبح الحرب كيفما شاء، ولكن ليس في الصفحة الأولى. في الصفحة الأولى تقترب الحروب. وفي واشنطن، ألم يثرثر أحد؟ آبيك، دالاس؟

بيريجور : إنهم لا يتكلمون.

جول : ماذا يفعلون هناك؟ (تافرنييه يرفع إصبعا) هيا...

تافرنييه : « أمريكا تلتزم الصمت المحير».

جول : كلا.

تافرنييه : ولكن...

جول : أمريكا لا تقلق، إنها تطمئن.

بيريجور : «أمريكا تلتزم الصمت المطمئن».

جول : «مطمئن»، ولكن يا عزيزي أنا لست وحدي، عليَّ واجبات نحو المساهمين. أتظن أنه يسعدني أن أضع لفظ «مطمئن» في عنوان ضخم حتى يستطيع الناس رؤية الطمأنينة من بُعد؟ وإذا كانوا مطمئنين سلفا، فلماذا تريدهم أن يشتروا مني الجريدة؟

تافرنييه : (يرفع إصبعه) «صمت سوفييتي مقلق».

جول : مقلق؟ الاتحاد السوفييتي يقلقك الآن؟ والقنبلة الهيدروجينية إذن؟ ما هي؟ أليست مثيرة لقلق العصافير؟

بيريجور : إني أقترح عنوانا أكبر «أمريكا لا تعد خطرا...» وتحته «الصمت السوفييتي المقلق».

جول : إنك تعاكس أمريكا ياصغيري! إنك تبحث عن متاعب لا داعي لها.

بيريجور : أنا؟

جول : سحقا! إن كان هذا الصمت مقلقا فإن أمريكا تخطئ إن لم تقلق له.

بيريجور : واشنطن لا تعتبر خطيرا ولا بسيطا، الصمتَ المقلق في الاتحاد السوفييتي.

جول : ما هذا؟ مانشيت جريدة أم حمولة الفيلة المتوحشة! الإيقاع ياسادة، الموسيقى. لا بد من السرعة! السرعة! السرعة! الجريدة لا تحمل بالكلام، بل

تصاغ بالمشـــاعر. أو تعرف كيف يكتـــب الأمريكيون عنوانك هذا؟ «U. R. S. S : صمت U. S. A ابتسام» هذا هو التأرجح! آه! لمـــاذا لا يوجد عندي محررون أمريكان؟! (تدخل السكرتيرة) ماذا؟

السكرتيرة : عمدة ترافادجا حضر.

جول : (لبيريجور) المصورون هنا؟

بيريجور : كلا.

جول : كيف! ألم تستدع المصورين؟

بيريجور : ولكني لم أكن أعلم...

جول : دعيه ينتظر، واجمعي كل مصوري الدار! (لبيريجور) كـــم من مـــرة قلت لـــك إني أريـــد جريدة بشـــرية! (الســـكرتيرة خرجت) نحن بعيدون جدا عن القراء. من الآن فصاعدا لا بد أن تقترن «ســـوار آباري» في ذاكرة الجميع بوجه مألوف، مبتسم، حنون. أي وجه يا تافرنييه؟

تافرنييه : وجهك يا جول.

جول : (لبيريجور) لقد تهدمـــت مدينة ترافادجا إثر انهيار الجليـــد علـــى الجبال بكميـــات هائلـــة، وقد حضر عمدتها اليوم لتســـلم نقـــود حملـــة التبرعات التي نظمناهـــا. كيف لـــم تفهم يا بيريجـــور أن هذه هي فرصتـــي لكي أظهر، وللمرة الأولـــى، لزبائننا القراء وأنا أعكس لهم كرمهم الخاص؟ (تدخل السكرتيرة)

السكرتيرة : المصورون موجودون.

جول : أدخلي العمدة. (تخرج) أين ترافادجا؟ بسرعة.

بيريجور : في بيرو.

جول : متأكد؟ لقد كنت أظنها في شيلي.

بيريجور : لا بد أنك تعلم ذلك خيرا مني.

جول : (لتافرنييه) وأنت؟ ماذا تظن؟

تافرنييه : كنت أميل إلى الاعتقاد أنها في بيرو. ولكن من المؤكد أن الحق معك. إنها...

جول : لا أريد مداهنة! أنا لا يخجلني أن أكون عصاميا في تعليمي! هات خريطة العالم! (يحضرها ويجثو جول أمامها) لا أجد بيرو.

تافرنييه : فوق وعلى اليسار. ليس فوقا إلى هذا الحد: هنا.

جول : ما هذا! إنها صغيرة كمنديل الجيب. وترافادجا؟

تافرنييه : هي النقطة السوداء على اليمين.

جول : (في جفاف) لك رؤية أفضل مني يا تافرنييه.

تافرنييه : معذرة ياجول.

(يدخل عمدة مدينة ترافادجا، يتبعه المصورون)

المشهد الخامس

عمدة ترافادجا وجول وتافرنييه وبيريجور والسكرتيرة والمترجم ومصورون.

جول : يا إلهي... أين الشيك؟ (يبحث في جيوبه)

تافرنييه : في جيب السترة.

جول : ولكن أين السترة؟

العمدة : (كأنما هو يتأهب لإلقاء خطبة) نا ...

جول : (فــي عجلة) صبــاح الخير ياســيدي. قف في هذا الجانب (للمصورين) عليكم به. اشغلوه.

العمدة : نا ... (المصورون يحيطون به. أضواء الماغنسيوم)

جول : تافرنييه، بيريجور! ساعداني. (على أربع تحت المكاتب)

العمدة : نا ... (صور) نا ... (صور)

جول : يخرج جاكتته من تحت منضدة، ويخرج منها شــيكا. صيحة انتصار). وجدته!

العمدة : نا ... صور «أوجدجا»...! (ينفجر باكيا)

جول : (للمصوريــن) أســرعوا، يــا إلهــي! أســرعوا ...! (للســكرتيرة) اكتبي تعليق الصورة «عمدة ترافادجا يبكــي امتنانا أمام مديرنا».. (المصورون قد التقطوا صورهــم. العمدة لايزال يبكــي) للمترجم: قل له أن يكف عن البكاء. لقد التقطت الصور.

المترجم : «أو كا ري».

العمدة : أو سي كا مي نو.

المترجم : لقد أعد العمدة خطابا في الطائرة وهو يبكي لأنهم يمنعونه من إلقائه.

جول : ستترجم أنت الخطاب، وسوف ننشر نصه بالكامل.

المترجم : راكا شوابو.

العمدة : «بايم بون».

المترجم : إنه يصر على إلقائه. ولتسمح لي سيادتكم بأن ألفت نظركم إلى أن مدينة ترافادجا تقع على ارتفاع ٣٨١٠

أمتار فوق سطح البحر، وأن الأكسجين هناك قليل. ولما كان الخطباء يضيق تنفسهم بسرعة لذلك، فقد اعتادوا الاقتضاب في الحديث.

جول : بسرعة! بسرعة إذن!

العمدة : (ببطء) نافوكي. نوفوكا. كيكوري.

المترجم : لن ينسى أطفال ترافادجا أبدا كرم الشعب الفرنسي. (فترة)

جول : وبعد؟

المترجم : هذا هو كل الخطاب.

جول : (يعطي الإشارة للتصفيق) يا للخطاب الرائع! (لبيريجور) أظن أنه يحسُن على أي حال أن نضيف إلى خطابه بعض الوقائع. (للعمدة) والآن نحن الاثنان ياترافادجا. (يمد إليه يده بالشيك. العمدة يتناوله) خذوه منه! بسرعة! إنه للتصوير. (يأخذون الشيك من العمدة)

المصور : (يأتي بمجلد من الأرشيف ويضعه على الأرض) جول.

جول : ماذا؟

المصور : لو تتفضل بالوقوف على هذا المجلد.

جول : لماذا؟

المصور : يتم عطاء الكرم من أعلى إلى أسفل.

جول : إذن فلتضع مجلدين (يصعد فوق المجلدين ويمد يده بالشيك. العمدة يتناوله. أضواء).

المصور : مرة أخرى! (يتناول الشيك من العمدة ويناوله لجول. الحركة نفسها) مرة أخرى (الحركة نفسها. العمدة يأخذ في البكاء)

جول : كفى بكاء أرجوك! كفى! (يضع الشيك في يد العمدة. (للمترجم) كيف تقولون إلى اللقاء؟

المترجم : لا بي دا.

جول : (للعمدة) لا بي دا !

العمدة : لا بي دا. (يتبادل مع جول القبل)

جول : (يضم العمدة بين ذراعيه) أعتقد أني أبكي، يا أطفالي. صورة، بسرعة! (صور. جول يمسح دمعة بإصبعه ويريها للعمدة. وكذا يفعل العمدة ويلمس إصبع جول بإصبعه. صورة)

جول : (للمصورين) اذهبوا به في نزهة إلى المدينة: كنيسة الساكر - كور، قبر الجندي المجهول، ملهى الفولي - بيرجيسير. (للعمدة) لا بي دا.

العمدة : (يخرج بظهره وهو ينحني بالتحية) لا بي دا، لابي دا. (المصورون والمترجم يخرجون)

المشهد السادس

جول وتافرنييه وبيريجور والسكرتيرة.

جول : أبنائي، هل هناك متعة أعظم من فعل الخير؟ (فجأة) أوه! أوه! أوه!

بيريجور	:	(في قلق) جول...
جول	:	الصمت يا أبنائي: أحس بفكرة تراودني.
بيريجور	:	(للسكرتيرة وكانت تكتب على الآلة الكاتبة) كفى يا فيفي، كفى: هاك الفكرة (صمت. جول يقطع الحجرة طولا وعرضا)
جول	:	أي يوم نحن؟
بيريجور	:	الثلاثاء.
جول	:	عظيم، أريد تخصيص يوم للإحسان أسبوعيا، سيكون الأربعاء. إني أعتمد عليك يا بيريجور. ابتداء من الجمعة، استدع ضحايا الكوارث ومن بقوا على قيد الحياة وأيتاما عراة ولاجئين. يوم السبت تفتح باب التبرعات، ويوم الأربعاء تعلن النتيجة. فهمت يا صغيري؟ ماذا تعد لنا الأربعاء المقبل؟
بيريجور	:	حسنا.. أنا.. ولماذا لا نبدأ بالمشردين؟
جول	:	بالمشردين؟ رائع! وأين يقيم هؤلاء المشردون؟ في كاراكاس؟ في بورتوريكو؟
بيريجور	:	كنت أفكر في المشردين عندنا.
جول	:	أنت مجنون! لا بد أن يكون منكوبونا ضحايا الكوارث الطبيعية على وجه التحديد. وإلا فسوف تهين الحب في قصص بائسة عن الظلم الاجتماعي. هل تتذكر حملتنا «كل الناس سعداء»؟ في ذلك الحين لم نقنع تماما كل الناس. حسنا، هذا العام سوف نقوم بحملة جديدة: «كل الناس طيبون»، وسترى: كل الناس سيصدقوننا. وهذا ما أسميه أنا خير دعاية ضد الشيوعية. إليّ

بالعنوان يا أبنائي! العنوان! ماذا كنتم تقترحون؟

تافرنييه : لم نكن نقترح شيئا يا جول. كنا نفكر في مواد الجريدة.

بيريجور : فعدا السبعة عشر قتيلا في مراكش...

تافرنييه : (مسترسلا)... وحادثتي انتحار، ومعجزة في تروفيل، وتبادل مذكرات ديبلوماسية.. وسرقة مجوهرات...

بيريجور : (مسترسلا)... وأربع حوادث تصادم على الطريق وحادثتين على الحدود...

تافرنييه : (مسترسلا)... عدا ذلك لم يحدث شيء قط.

جول : لا جديد! وتشكوان؟ ماذا يلزمكما؟ سقوط الباستيل؟ قسم الجودي بوم؟ يا أبنائي، أنا جريدة حكومية وليس عليَّ أن أكتب التاريخ، مادامت الحكومة تصر على عدم كتابته والجمهور لا يريده. لكل مهنته، التاريخ من اختصاص المؤرخين، وللجرائد اليومية الأحداث اليومية. واليومي على عكس ما هو جديد. إنه ما يحدث كل يوم منذ بدء الخليقة، سفاح، سرقات، غواية قصّر، أفعال طيبة، وجوائز عن الفضيلة. (تليفون) ماذا؟

السكرتيرة : (التي تناولت السماعة) إنه لانسيلو يا سيدي.

جول : آلو! أوه! آه! في أي ساعة؟ حسن حسن حسن. (يعيد السماعة) لقد عثرنا على المانشيت يا أبنائي: جورج دي فاليرا قد هرب منذ قليل.

بيريجور : المحتال؟

تافرنييه : الرجل ذو الخمسين مليونا.

جول	:	هو نفسه، إنه عبقري العصر. تضعون صورته في الصفحة الأولى بجوار صورتي.
تافرنييه	:	الخير والشر يا سيدي الرئيس.
جول	:	الحنان والخسة من العواطف الهادئة للمعدة. ولا تنسوا أن جريدتنا تصدر بعد الظهر. (تليفون) ماذا؟ ماذا؟ لا! لا! لا! أليست هناك تفصيلات؟ أوه! أوه! أوه! حسن. (يعيد السماعة) يا إلهي! يا إلهي! يا إلهي!
تافرنييه	:	هل ألقوا القبض عليه؟
جول	:	كلا، ولكن العناوين الكبيرة لا تأتي بمفردها أبدا. منذ لحظة كان ينقصنا مانشيت، والآن عندنا واحد زائد.
تافرنييه	:	ماذا حدث؟
جول	:	وزير الداخلية السوفييتي اختفى.
بيريجو	:	نيكراسوف؟ هل هو في السجن؟
جول	:	أبشع من هذا، يبدو أنه اختار الحرية.
بيريجور	:	وماذا يعلمون عن ذلك؟
جول	:	لا شيء تقريبا، وهذا هو ما يضايقني. لم يذهب إلى الأوبرا يوم الثلاثاء الماضي، منذ ذلك التاريخ لم يره مخلوق.
تافرنييه	:	من أين جاء الخبر؟
جول	:	من وكالة رويتر، ومن وكالة الأنباء الفرنسية.
تافرنييه	:	ووكالة تاس؟

جول	:	ولا كلمة.
تافرنييه	:	آه!
جول	:	نعم، آه!
تافرنييه	:	وبعد؟ ماذا نفعل؟ نيكراسوف أم فاليرا؟
جول	:	نيكراسوف. لنضع «اختفاء نيكراسوف»، وفي عنوان صغير: «يبدو أن وزير الداخلية السوفييتي قد اختار الحرية!». هل عندكم صورة له؟
بيريجور	:	أنــت تعرفها ياجول: كأنها صورة قرصان، فهو يضع شريطا أسود اللون على عينه اليمنى.
جول	:	ضعوها بجوار صورتي لكي نحافظ على التباين بين الخير والشر.
بيريجور	:	وصورة فاليرا؟ جول في الصفحة الرابعة. (تليفون) لو كان هذا عنوانا كبيرا آخر فأنا سيئ الحظ.
السكرتيرة	:	آلو؟ نعم. نعم يا ســيدي الرئيس. (لجول) إنه رئيس مجلس الإدارة.
جول	:	دعي البخيل يصعد.
السكرتيرة	:	(في التليفون) نعم يا سيدي الرئيس. حالا يا سيدي الرئيس. (تضع السماعة)
جول	:	(لتافرنييه وبيريجور) اختفيا يا أبنائي... نراكما بعد قليل.

(بيريجور وتافرنييه يخرجان. جول يتأمل جاكتته في حيرة وارتباك ثم يرتديها بعد لحظة تردد)

المشهد السابع

جول وموتون والسكرتيرة.

جول : صباح الخير يا عزيزي الرئيس.

موتون : صباح الخير يا عزيزي بالوتان. (يجلس) اجلس إذن!

جول : إني أفضل البقاء واقفا، إن لم تر لذلك مانعا.

موتون : أرى لذلك موانع كثيرة. كيف تريدني أن أحدثك إن وجب علي أن أبحث عنك من دون توقف في أرجاء هذا المكتب؟

جول : كما تريد. (يجلس)

موتون : لقد حضرت لأبلغك خبرا رائعا: اتصل بي وزير الداخلية تليفونيا أمس، وقد تفضل فأفهمني أنه ينوي منحنا وحدنا الحق في إعلانات العمل.

جول : إعلانات العمل؟ هذا.. هذا.. لم نكن نحلم به.

موتون : أليس كذلك؟ وعلى أثر هذا الحديث التليفوني بادرت بدعوة مجلس الإدارة إلى الانعقاد. وقد اتفق جميع أصدقائنا على تأكيد أهمية هذا القرار العظيم: نستطيع أن نحسن مستوى الجريدة مع تخفيض النفقات.

جول : نخرج الجريدة في عشرين صفحة، ونضرب «باري - برس» و «فرانس سوار».

موتون : وسنكون أول جريدة يومية تنشر صورا ملونة.

جول : وماذا يريد الوزير مقابل ذلك؟

موتون : أوه ياصديقي العزيز! لا شـــيء، لا شيء مطلقا، نحن نقبل المعروف حينما يشـــهد بجدارتنا واســـتحقاقنا له، ونأباه إن كان فيه شراء للضمائر. الوزير الشاب مرح رياضي، وهـــو يريد أن يبعث الحيوية في قلوب زملائـــه، ويكون حكومة «مـــودرن» حديثة. وحيث إن «سوار آباري» جريدة الحكومة، فهو يعطيها الوسائل لكي تجدد نفســـها، ولتصبح أهـــلا للعصر. حتى أن الوزير تفـــوه بهذه الكلمة اللذيذة، «فلتصبح الجريدة الرديئة جريدة المواجهة».

جول : (ينفجر ضاحكا، ثم يتوقف فجأة ويقول في جد) هل قال عن جريدتنا إنها جريدة رديئة؟

موتون : كانـــت فرحة. ولكن علي أن أقـــول لك حقا إن بعض زملائـــي قد نبهوني إلى أن «ســـوار آبـــاري» تراخت قليلا هذه الأيام. إن إدارة الجريدة على أحســـن ما يرام، ولكن لم يعد المرء يجد فيها ذلك الطابع اللاذع الذي يبهر الجمهور.

جول : لا بـــد أن نضع في اعتبارنا زوال حدة التوتر العالمي. وقـــد كان بيريجور يقول لي منـــذ لحظة، وبحق، إن شيئا لا يحدث الآن.

موتون : بالطبـــع! بالطبع! أنت تعلم أني أدافـــع عنك دائما. ولكني أفهـــم ما يعنيه الوزير بقوله: النظرة الجديدة للسياسة الفرنســـية ســـتأخذ طابع الحدة، وسوف يســـاندنا أكثر من زملائنا حينما نقدم ما يشهد لنا. وعليه، فتلك فرصة ســـانحة لكي نبـــين أن لدينا ما يطلبونـــه من «حدة في الطبـــع» وباختصار، هاك ما تفضل عليَّ الوزير بمعرفته: ستُجرى انتخابات جزئية

في مدينة ســين مــارن. إنها الدائــرة التي اختارها الشــيوعيون ليختبروا فيها قوتهم. والحكومة تتقبل هذه التجربة، وســوف تجرى الانتخابات مع أو ضد تسليح ألمانيا. أنت تعرف مدام بونومي، إنها مرشحة الحكومة، وهــذه الزوجة المســيحية، وهي أم لاثني عشر طفلا كلهم أحياء، تشعر بدقات قلب الجماهير الفرنسية. ودعايتها الانتخابية بسيطة ومؤثرة، يجب أن تكــون مثلا يحتذى لرجالنا السياســيين ولمديري جرائدنــا الكبــرى. انظر إلى هــذا الملصق. (يخرج ملصقا من حقيبته وينشره، وقد كُتب على «الأفيش» يتحقق الإخاء بإعادة التســليح، وفي أســفله قليلا: «لكي نحمي السلام كل الوسائل ممكنة، ولتكن حتى الحرب». كم هو مباشــر هذا الأفيش! حبذا لو رأيته معلقا على حائطك.

جول : (للسكرتيرة) فيفي! دبابيس! (السكرتيرة تعلق الملصق على الحائط)

موتون : لــو أن الكفاءة هي التي تربح دائما، فســتربح مدام بونومي المعركة من دون مشقة. ولكن الموقف للأسف ليس شديد الإشراق، فلســنا نستطيع الاعتماد في البدايــة إلا على ثلاثمائة ألف صوت، وللشــيوعيين مثل هذا القــدر، وربما أكثر قليلا. وســوف يتغيب نصف عدد الناخبين كما هي العادة، ويبقى نحو مائة ألف صوت لا بد أنها ستذهب إلى المرشح الراديكالي «بيردريير». وهذا يعني إعادة الانتخابات بسبب عدم كفايــة الأصوات، ويعني أن المرشــح الشــيوعي قد يكسب في الدورة الثانية.

جول : (الذي لا يفهم) آه! آه!

موتون	:	ولكـــي يتجنب الوزير ما يســميه – من دون خوف – مصيبة، لا يرى غير وســيلة واحدة: أن يحصل على تنازل مــن «بيردريير» لمصلحة مدام «بونومي»، ولكن بيردريير لا يريد أن يتنازل.
جول	:	بيردريير؟ إنني أعرفه. إنه العدو اللدود للسوفييت. لقد تناولنا العشاء على مائدة واحدة.
موتون	:	وأنا أعرفه أكثر من ذلك: إنه جاري في الريف.
جول	:	لقد صرح لي بآراء فطنة عاقلة.
موتون	:	تريد أن تقول إنه يدين سياسة الاتحاد السوفييتي؟
جول	:	هو ذاك.
موتون	:	وهــذا هو الرجل: يكره الشــيوعيين. ولا يريد إعادة تسليح ألمانيا.
جول	:	تناقض محير غريب!
موتون	:	وموقفه هذا موقف عاطفي محض. أو تعرف حقيقة الأمــر؟ لقد اجتــاح الألمان ضيعته فــي ١٩٤٠ وفي ١٩٤٤ نفوه.
جول	:	وبعد؟
موتون	:	هذا كل ما في الأمر. وهو لا يريد أن يعرف شيئا، ولا ينسى شيئا.
جول	:	أوه!
موتون	:	لاحظ أن نفيه كان بسيطا للغاية، إذ لم يستغرق سوى ثمانية شهور أو عشرة.
جول	:	الدليل على ذلك أنه عاد منه.

موتون : (يهز كتفيه) المسألة أنه يعيش على ذكريات. إنه مصاب بالجرمانوفوبيا.. مرض الخوف من الألمان. وهذا أمر سخيف نظرا إلى أن التاريخ لا يعيد نفسه، ففي الحرب العالمية المقبلة ستكون الأرض الروسية هي التي يجتاحها الألمان، وسيكون الروس هم الذين سينفون منها.

جول : طبعا.

موتون : وأنت تدرك جيدا أنه يعلم ذلك!

جول : وهذا لا يزعزع معتقداته؟

موتون : على العكس، فلو أنهم وضعوا له روسيين في بوشاينفالد، لتظاهر بأنه لا يحتملهم. (ابتسامة خفيفة) وحينما يحدثه أحد عن الألمان تثور ثائرته فيرى كل شيء باللون الأحمر. (ضحكة مؤدبة من جول) وعليه فأنت تعلم الآن كل شيء. بيردريير يخاف الألمان أكثر من الروس، وسيتناول عن ترشيح نفسه لو أنك جعلته يخاف الروس أكثر من الألمان.

جول : لو أنك جعلته... من تقصد بقولك «أنك»؟

موتون : أنت.

جول : أنا؟ وكيف تريدني أن أفعل؟ وليس لي تأثير عليه.

موتون : لا بد من التأثير عليه.

جول : بأي وسيلة؟

موتون : إن مائة الألف ناخب الذين سيعطون أصواتهم من قراء «سوار آباري».

جول : وبعد؟

موتون : كن جادا وانشر الرعب.

جول : الرعب؟ ولكني لا أفعل غير ذلك. إن صفحتي الخامسة كلها مكرسة للخطر الأحمر.

موتون : بالضبط. (صمت خفيف) يا عزيزي بالوتان، لقد كلفني المجلس أن أخبرك أن صفحتكم الخامسة لم تعد تساوي شيئا على الإطلاق. (جول ينهض) أتوسل إليك يا صديقي أن تظل جالسا. (ملحّا) أرجوك أن تتفضل بالجلوس. (جول يجلس من جديد) قديما كنا نقرأ الصفحة الخامسة فنستفيد. إني أذكر تحقيقك الصحافي القيم عن «الحرب غدا!». كنا نتنفس القلق. وصورك الملفقة عن ستالين يدخل، على حصان، كاتدرائية نوتردام وهي تشتعل! إنها روائع خالصة. ولكن منذ أكثر من عام وأنا ألاحظ تهاونا يثير الشك وتغافلا يعد إجراما. كنت تتحدث عن المجاعة في الاتحاد السوفييتي فيما مضى، أما الآن فلم تعد تتكلم عن ذلك. لماذا؟ أو تدعي أن الروس يأكلون عندما يجوعون؟

جول : أنا؟ لا أدعي ذلك.

موتون : منذ أيام رأيت صورة نشرتها في الجريدة عن «ربات بيوت سوفييتيات يقفن صفا أمام محل بقالة». ويذهلني أن أقرر أن بعض أولئك السيدات كن يبتسمن، وأن جميعهن يلبسن أحذية. أحذية في موسكو؟ طبعا كانت صورة دعائية لموسكو تناولتنا خطأ على أنها من وكالة الأنباء الفرنسية. أحذية! ولكن كان يجب عليك أن تقطع أقدامهن على الأقل. ابتسامات! في الاتحاد السوفييتي! ابتسامات!

جول : لم أكن أستطيع قطع رؤوسهن.

موتون : ولم لا؟ هل أعترف لك؟ لقد ساءلت نفسي إن كانت أفكارك لم تتغير!

جول : (في عزة نفس) أنا جريدة موضوعية، جريدة الحكومة وآرائي لا تتبدل مادامت الحكومة لا تبدل آراءها.

موتون : حسن، حسن جدا. وأنت ألست قلقا؟

جول : ولِمَ أكون كذلك؟

موتون : لأن الناس قد بدأوا يطمئنون.

جول : يطمئنون؟ ألا تظن أنك تبالغ يا عزيزي الرئيس؟

موتون : أنا لا أبالغ أبدا. منذ عامين أقيم حفل ساهر في الهواء الطلق في مدينة روكامادور، وفجأة وقعت صاعقة على بعد مائة متر من المكان، فساد فزع رهيب وتوفي مائة شخص. وقد أعلن في التحقيقات كل من نجوا من الموت أنهم ظنوا أن طائرة سوفييتية كانت تمطرهم بالقنابل. وهذا ما يثبت أن الصحافة الموضوعية كانت تقوم بدورها خير قيام. حسن. وأمس نشر المعهد الفرنسي للرأي العام I. F. O. P نتائج استقصائه الأخير. هل علمت بذلك؟

جول : ليس بعد.

موتون : لقد سأل الخبراء عشرة آلاف شخص من كل الأوساط وكل الطبقات. وقد أجاب عشرة من المائة عن هذا السؤال: «أين ستموت؟» بأنهم لا يعرفون. والبقية، أي الأغلبية العظمى، أجابوا بأنهم سيموتون في الفراش.

جول	:	في فراشهم؟
موتون	:	على أسرتهم. وكانوا فرنسيين من الطبقة الوسطى، من قارئي جريدتنا.. كم هي بعيدة روكامادور، وأي انتكاسة في عامين.
جول	:	ولم يرد أحد ليقول إنه سيموت متفحما، متفتتا، متبخرا.
موتون	:	في فراشهم؟
جول	:	ماذا؟ ولا أحد ذكر القنبلة الهيدروجينية، والشعاع القاتل، والغبار الذري، ورماد الموت، والأمطار الكبريتية؟
موتون	:	على أسرتهم، في منتصف القرن العشرين، ومع التقدم المذهل في العلوم والتكنيك يظنون أنهم سيموتون في فراشهم، كما كانت الحال في العصور الوسطى! آه ياعزيزي بالوتان، دعني أقل لك بكل صراحة: أنت مذنب كبير.
جول	:	(ينهض) ولكن لا دخل لي بهذا مطلقا.
موتون	:	(ينهض هو الآخر) جريدتك لينة، فاترة، ماسخة، تثير الدموع! أمس أيضا تكلمت عن السلام. (يتقدم نحو جول)
جول	:	(يتراجع) كلا!
موتون	:	(يتقدم نحوه) بلى. وفي الصفحة الأولى.
جول	:	(الحركة نفسها) ليس أنا، إنه مولوتوف، لم أفعل سوى أنني نشرت خطابه.
موتون	:	(يتقدم نحوه) لقد نشرته كاملا، وكان يجب أن تنشر مقتطفات منه.

جول	:	إنها مقتضيات الإعلام..
موتون	:	وهــل هذا يهــم إن كان العالم في خطــر؟ لقد وحَّد الرعب بــين دول الغرب الكبرى، فــإذا أعدت إليهم الطمأنينة فمن أين تستقي هذه الدول القوة لتحضير الحرب؟
جول	:	(وقد التصق بالمكتب) الحرب؟ أي حرب؟
موتون	:	الحرب المقبلة.
جول	:	ولكني لا أريد حربا.
موتون	:	لا تريــد حربا؟ ولكن قل لي يا بالوتان: أين تظن أنك ستموت؟
جول	:	عندي...
موتون	:	عندك...؟
جول	:	في... ماذا! وماذا يدريني؟
موتون	:	إنــك محايد تجهل حقيقة نفســك، مســالم، تاجر أوهام!
جول	:	يقفز على مجلداته ويصرخ.. دعني في ســلام! في سلام! في سلام! في سلام!
موتون	:	في ســلام! أنت ترى جيدا أنك تريده. (فترة صمت. جــول يهبط إلى الأرض) هيــا اجلس على مقعدك، ولنهدئ أنفسنا. (جول يجلس) لا أحد يجهل قيمتك العظيمــة. ولقد كنت أقول بالأمــس مرة أخرى في المجلــس: إنك نابليون الأخبــار الموضوعية، ولكن أو تصبح نابليون الحدة؟

جول	:	سأصبح ذلك أيضا.
موتون	:	برهن عليه.
جول	:	كيف؟
موتون	:	هات لنا تنازل بيردريير عن ترشيح نفسه. قم بحملة مرعبة وضخمة. مزق أحلام قرائك المرضية. بين أن بقاء فرنسا حية يعتمد على الجيش الألماني والتفوق الأمريكي. اجعلنا نرهب الحياة أكثر مما نرهب الموت.
جول	:	... سأفعل ذلك.
موتون	:	لو أن هذه المهمة تخيفك، فلايزال هناك وقت للتراجع.
جول	:	إنها لا تخيفني (إلى السكرتيرة) دعي سيبيلو يصعد بسرعة.
السكرتيرة	:	(في التليفون) أرسلوا سيبيلو.
جول	:	آه! يا لهم من أغبياء مساكين! يا لهم من أغبياء مساكين!
موتون	:	من؟
جول	:	القراء! إنهم يصطادون السمك في هدوء، ويلعبون الورق، ويمارسون الحب كل مساء، وينتظرون الموت في الفراش. سأفسد عليهم لذتهم.
موتون	:	لا تلن يا صديقي. فكر في نفسك، حيث إن مركزك مهدد جدا. وفكر فيّ أنا الذي أدافع عنك دائما أبدا، وفكر على الخصوص في الوطن. غدا صباحا في العاشرة، سينعقد مجلس الإدارة، وحبذا لو استطعت

أن تضع مشـــروعاتك الجديدة تحـــت أيدينا. لا، لا. دعك فـــي مكانك جالســـا، ولا توصلني مرة أخرى. (يخرج ويقفز جول على قدميه، ويذرع الحجرة جريا تقريبا)

جول : يا إلهي، اللعنة! (يدخل سيبيلو)

المشهد الثامن

جول وسيبيلو والسكرتيرة.

جول : اقترب.

سيبيلو : سيدي، أنا أشكرك.

جول : لا تشكرني ياسيبيلو، لا تشكرني قبلا..

سيبيلو : آه! إني أصر على شكرك مقدما، ومهما يكن قرارك. لم أكن أفكر ياسيدي في أنك ستناديني بهذه السرعة.

جول : لقد أخطأت.

سيبيلو : لقـــد أخطأت.. لقد أخطأت لأن الحب كان ينقصني فمن فرط ما كنت أفضح الشـــر وأشـــهر به، انتهيت إلـــى أن أراه في كل مـــكان، ولم أعـــد أومن بالكرم الإنســـاني. وباختصار ياسيدي الإنســـان، الإنسان نفسه قد أصبح في نظري مريبا.

جول : وهل اطمأن قلبك الآن؟

سيبيلو : تماما. ومن هذه اللحظة أحب الإنسان وأومن به.

جول : أنت محظوظ. (يقطع الحجرة في خطى سـريعة) يا صديقي، لقد فتحت مناقشاتنا عيني. ألم تقل لي ان مهنتك تتطلب الاختراع؟

سيبيلو : إن كان على ذلك، فنعم...

جول : وتتطلب الحساسية واللياقة إلى حد الشعر؟

سيبيلو : نعم، هذا حق.

جول : أي باختصـار، ومن دون أن نخشـى ضخـام الكلم، تتطلب نوعا من العبقرية.

سيبيلو : ما كان لي أن أتجرأ فأقول...

جول : أوه! ولمَ هذا الحرج إذن!

سيبيلو : حسن! بشكل ما!

جول : عظيم. (فترة صمت) هاك ما يثبت أنك لست الرجل الذي يلزمني على الإطلاق. (سيبيلو ينهض ويحتج) ابق جالسـا! أنـا الرئيـس، وأنا الذي أسـير هنا! وسأسير إلى الغد إن أردت!

سيبيلو : لقد قلت؟

جول : اجلس. (سيبيلو يجلس) قلت إنك غير كفء، ومشوش الفكر ومخرب. لباقة؟ مهارة؟ أنت؟ إنك تسمح بنشر صور لنسـاء سوفييتيات في معاطف من الفراء، في أقدامهن أحذيـة، وكأنهن ملـكات، ويضحكن حتى آذانهن! الحق يا سيبيلو أنك وجدت هنا ملاذا ومرتعا لأيامك الأخيرة! إنك تعتبر الصفحة الخامسـة من «سـوار آباري» ملجأ للعجزة! وعلاوة على ما تقبضه من أوراقك السبعين ألفا تحتقر زملاءك الذين يهلكون أنفسهم في العمل. (للسكرتيرة) إذ هو يكسب...

سيبيلو : (صرخة مبرحة) لا تقل ذلك يا سيدي!

جول : (من دون رحمة) سبعون ألف ورقة يكسبها في الشهر لكي ينشر في جريدتي دعاية لروسيا السوفييتية!

سيبيلو : هذا غير صحيح!

جول : إني أسائل نفسي أحيانا إن لم تكن من العملاء.

سيبيلو : أقسم لك...

جول : عميل! كاتب شفرة! وقفاز!

سيبيلو : كفى يا سيدي! اعتقد أني سأصاب بالجنون!

جول : ألم تعترف لي أنت نفسك، بأنك تقبض نقودا من موسكو!

سيبيلو : ولكنها ابنتي...

جول : نعم، إنها ابنتك! وبعد؟ لا بد طبعا أن يعطيها لك مخلوق. (سيبيلو يريد أن ينهض) مكانك لا تقف! واختر لنفسك: إما أنك قد بعت نفسك وإما أنك غير كفء.

سيبيلو : بشرفي أنا لا هذا ولا ذاك.

جول : برهن على ذلك.

سيبيلو : ولكن كيف؟

جول : غدا، سأشن حملة ضد الحزب الشيوعي، أريده أن يخر على قدميه في خمسة عشر يوما. يلزمني رجل هدام من الدرجة الأولى، رجل عراك وقتال. أو يكون هذا الرجل هو أنت؟

سيبيلو : نعم يا سيدي.

جول : سأصدقك إذا ما أعطيتني فكرة الآن.

سيبيلو : فكرة.. للحملة...

جول : عندك ثلاثون ثانية.

سيبيلو : ثلاثون ثانية للفكرة؟

جول : لم يبق لك غير خمس عشرة ثانية. آه! وسترى إن كان عندك موهبة!

سيبيلو : أنا... حياة ستالين في صور.

جول : حياة ستالين في صور؟ سيبيلو، لقد مضت الثلاثون ثانية. أنت مرفوت.

سيبيلو : يا سيدي، أتوسل إليك، أنت لا تستطيع... (فترة) إني أعول زوجة وابنة...

جول : ابنة! حقا حقا! إنها هي التي تعولك!

سيبيلو : أصغ جيدا لما أقوله لك يا سيدي: إن استغنيت عني فسأعود إلى بيتي، وأفتح الغاز وأنتحر!

جول : يا للخسارة الفادحة! (فترة) سأعطيك فرصة حتى الغد. ولكن إذا لم تدخل عليَّ في مكتبي غدا عند العاشرة صباحا ومعك فكرة هائلة مدوية، فتستطيع أن تجمع حقائبك.

سيبيلو : غدا صباحا؟

جول : أمامك الليل. تفضل!

سيبيلو : سيكون لك ما تريد يا سيدي، ولكني أفضل أن أقول لك إني لم أعد أومن بالإنسان.

جول : للمهمة التي ستنهض بها، من الخير ألا تؤمن به. (يخرج سيبيلو في إعياء)

(ستار)

المنظر الثالث

الديكور: صالون، ليلا.

المشهد الأول

جورج وفيرونيك.

يدخل جورج من الباب، ويكاد أن يقلب زهرية ورد لولا أنه يمسك بها في حينه. يســمع صوت صفارات فيلتصق بالحائط. شرطي يمد رأسه من بين مصراعي الباب، ويضيء الحجـرة بالبطارية الكهربائية. ينتظر جورج وهو يحبس أنفاســه حتى يختفي الشرطي فيتنفس. وبعد لحظة نراه يكاد يكافح ضد الرغبة في العطس فيضغط على فتحات أنفه ويفتح فمه، ولكنه يعطس في صوت مدو آخر الأمر.

فيرونيك : (من بعيد) ما هذا؟

(جــورج يعطس مرة أخــرى ويندفع إلى الباب ويهم بالخروج، لكنه يســمع صوت صفــارات قريبة جدا فيعود مســرعا إلى الداخل. وفي تلك اللحظة تعود فيرونيــك وتديــر مفتــاح الكهربــاء. يتراجع جورج ويلتصق بالحائط)

جورج : (وقد رفع يديه إلى أعلى) ضعنا!

فيرونيك : ما الذى ضاع؟ (تلمح جورج) يا إلهي! لص.

جورج : لص؟ أين إذن؟

فيرونيك	:	ألست لصا؟
جورج	:	كلا على الإطلاق. إني أزورك.
فيرونيك	:	في هذه الساعة من الليل؟
جورج	:	نعم.
فيرونيك	:	ولماذا ترفع يديك في الهواء؟
جورج	:	بالضبط لأن الوقت ليل. فالعادة أن يرفع الزائر الليلي يديه حين يباغت.
فيرونيك	:	حسن، لقد قمت بالواجب، فلتخفضها إذن.
جورج	:	لن يكون في ذلك فطنة ولا حذر.
فيرونيك	:	في هذه الحالة فلترفعها إلى أعلى جيدا، ولا تتحرج، فأنت في بيتك. (تجلس) تفضل بالجلوس ولتضع ذراعك على المسند لتستريح. (يجلس رافعا يديه وهي تراقبه) معك حق، ما كان يجب عليَّ أبدا أن أحسبك لصا.
جورج	:	شكرا.
فيرونيك	:	لا داعي للشكر.
جورج	:	بلى، بلى! فالظواهر ضدي ويسعدني أنك قبلت تصديقي.
فيرونيك	:	إني أصدق يديك. انظر كيف أن مظهرهما غبي : لم تفعل شيئا مطلقا بأصابعك العشرة.
جورج	:	(من بين أسنانه) إني أعمل بلساني.
فيرونيك	:	(في أثره) إن يد اللص على العكس من ذلك، رشيقة وعصبية وخفيفة.

جورج : (وقد تكدر) وماذا تعلمين عن ذلك؟

فيرونيك : كنت أعمل بالمحاكم.

جورج : كنت تعملين بالمحاكم؟ أنا أهنئك على ذلك.

فيرونيك : لقد عملت بها خلال عامين. وأشتغل الآن بالسياسة الخارجية.

جورج : صحافية؟

فيرونيك : هو ذا. وأنت؟

جورج : أنـــا؟ إن ما يمكن أن يجذبنـــي هو على الأحرى المهن الفنية.

فيرونيك : ماذا تفعل؟

جورج : في الحياة؟ أتكلم.

فيرونيك : وفي هذا الصالون؟

جورج : وفي هذا الصالون كذلك.

فيرونيك : حسن، وبعد؟ تكلم.

جورج : عن أي شيء؟

فيرونيك : لا بد أنك تعلم. قل ما عندك.

جورج : لك؟ أوه، كلا. ناد زوجك.

فيرونيك : أنا مطلقة.

جورج : (يشير إلى غليون على المنضدة) أهو أنت الذي يدخن الغليون؟

فيرونيك : إنه والدي.

جورج : تعيشين معه؟

فيرونيك : أعيش عنده.

جورج : ناده.

فيرونيك : إنه في جريدته.

جورج : آه! أنتما الاثنان صحافيان؟

فيرونيك : نعم. ولكن في جريدتين مختلفتين.

جورج : وعليه، فنحن وحيدان في هذا البيت.

فيرونيك : هل هذا يصدمك؟

جورج : إنه موقف مريب، يعرضك للفضيحة ولا يطيب لي.

فيرونيك : لست أراه فاضحا.

جورج : وهذا سبب آخر يجعلني لا أستطيبه.

فيرونيك : إذن، طاب مساؤك! وسترجع حينما يعود والدي من الخارج.

جورج : طاب مساؤك! طاب مساؤك! (ينهض في تراخ، يسمع صوت صفارات في الخارج فيعود إلى الجلوس) إني أفضل انتظاره هنا، إن لم يكن في ذلك ما يزعجك.

فيرونيك : أنت لا تزعجني، ولكنني كنت على أهبة الخروج. ليس لدي مانع أن أتركك بمفردك في الشقة، ولكني أحب مع ذلك أن أعرف ماذا أتيت تفعل هنا.

جورج : هذا حقك. (فترة) انتهينا. (فترة)

فيرونيك : وبعد؟ (جورج يعطس ويضرب الأرض بقدمه)

جورج : نزلة برد! نزلة برد! البقية الوحيدة السخيفة لفعل لم يتم، أردت أن أنعش نفسي فأصابني البرد.

فيرونيك : (تقدم له منديلا) تمخط.

جورج : (ولاتزال يداه مرفوعتين) مستحيل.

فيرونيك : لماذا؟

جورج : لأني لا أستطيع خفض يدي.

فيرونيك : انهض. (ينهض، فتتعلق بذراعيه من دون أن تستطيع إنزالهما) هل شلت ذراعاك؟

جورج : ذلك من تأثير الريبة.

فيرونيك : أنت ترتاب فيّ

جورج : أنا أرتاب في النساء.

فيرونيك : (بجفاء) حسن. (تتناول منه المنديل وتساعده على التمخط) تمخط! أقوى من ذلك. هكذا. (تطوى المنديل وتضعه في جيب جورج)

جورج : (حانقا) كم هذا مقزز! ياإلهي كم، هذا مقزز.

فيرونيك : استرخ.

جورج : هذا سهل قوله.

فيرونيك : اقلب رأسك إلى الوراء، وأغلق عينيك، وعد حتى الألف.

جورج : وماذا تفعلين أنت حينما تكون عيناي مقفلتين؟ ستدلفين إلى الخارج لتنادي البوليس، أو ستذهبين لإحضار مسدس من الدرج...

فيرونيك : أو تريدني أن أرفع يديَّ في الهواء؟ (ترفع يديها، فيخفض جورج يديه في بطء) أخيرا! هل تشعر بتحسن؟

جورج : نعم، إنها أكثر راحة.

فيرونيك : إذن، فسوف تستطيع أن تجيب؟

جورج : طبيعي. أجيب على ماذا؟

فيرونيك : ها قد مضت ساعة وأنا أسألك ماذا تفعل هنا؟

جورج : ماذا أفعل هنا؟ الأمر غاية في البساطة. ولكن اخفضي يديك. هيا! هذا غير محتمل! لن أستطيع الكلام معك مادمت ترفعين يديك فوق رأسك. (فيرونيك تخفض يديها) حسن!

فيرونيك : إني مصغية.

جورج : كم آسف لغياب أبيك! إني أحب النساء، وأعشق إغراقهن بالمجوهرات، والتدليل، وأنا على أتم استعداد لكي أمنحهن، بسرور، كل شيء، عدا الردود على أسئلتهن.

فيرونيك : كم هذا غريب.. ولماذا؟

جورج : لأنهن لا يفهمنها يا سيدتي. خذي مثلا، لنفرض ــ على سبيل المثال طبعا ــ أني قلت لك ما يلي : أنا نصاب، وكان البوليس في أثري. وكان بابك مفتوحا فدخلت. هذا يبدو بسيطا وواضحا. حسن! ماذا فهمت؟

فيرونيك : ماذا فهمت؟ لست أدري...

جورج : أرأيت؟ أنت حتى لا تدرين...

فيرونيك : لقد فهمت أنك محتال...

جورج : وهذا كل ما في الأمر!

فيرونيك : أليـس هذا هو المهـم؟ (فترة صمـت قصيرة) هذه خسارة فيما أعتقد.

جورج : أتفضلين اللصوص؟

فيرونيك : نعم، لأنهم يشتغلون بأيديهم.

جورج : هل أنت مناصرة للحركـة العمالية؟ (فترة) على كل حال التجربة قاطعة، لقد فهمت كل شيء بالعكس.

فيرونيك : ألست محتالا؟

جورج : كلا! ليس هذا هو المهم! المهم أن البوليس في أثري. مـا كان لرجـل أن يخطئ فهم ذلـك. (يصرخ بغتة) البوليس في أثري. أتفهمين؟

فيرونيك : حسنا! حسنا! لا تصرخ. (فترة)

جورج : وبعد؟ ما الذي ستفعلينه؟

فيرونيك : أسـدل السـتائر. (تذهـب إلـى النافذة وتسـدل الستائر)

جورج : وأنا؟

فيرونيك : أنت؟ ماذا أسـتطيع أن أفعل بك؟ هل أنت جيتار أو ماندولـين حتى أعزف عليك؟ أو مسـمار لأضربك على رأسك؟

جورج : إذن؟

فيرونيك : إذن لا شيء، لا أعرف ماذا أفعل معك.

جورج : لا شيء، هي أكثر الإجابات عدم دقة. لا شيء، تعني أي شيء. كل شـيء يمكن أن يحدث، تستطيعين أن تنفجري باكية، أو تفقئـي عيني بدبوس قبعتك. آه!

يا ليتني قابلت السيد والدك. أو تعلمين بماذا كان سيجيبني؟

فيرونيك : سأسلمك للبوليس.

جورج : (يقفز فزعا) سوف تسلمينني للبوليس؟

فيرونيك : كلا! أقول لك ماذا كان سيجيب والدي.

جورج : ويا لها من إجابة جميلة! هناك رجل.

فيرونيك : ممكن، ولكن لو أنه كان هناك لكانت القيود في يديك منذ حين.

جورج : كلا!

فيرونيك : كلا؟

جورج : نعم كلا، فأنا أعرف كيف أقنع الرجال. إنهم أناس منطقيون، وبفضل المنطق أوجه أنا تفكيرهم من بعيد، ولكن أنت يا سيدتي، أنت! أين هو منطقك؟ أين حسن إدراكك؟ ليس في نيتك تسليمي، إن كنت قد فهمتك؟

فيرونيك : لقد فهمتني.

جورج : وهذا هو بالضبط السبب الذي سيجعلك تسلمينني للبوليس. لا تحتجي: أنت مثل جميع النساء، عصبية ومندفعة وتسيطر عليك عواطفك. ستبتسمين في وجهي، وتلاطفينني في تملق، ثم ستخافين من أذني أو من شعرة تخرج من أنفي وتأخذين في الصراخ.

فيرونيك : وهل صرخت حينما اكتشفتك؟

جورج : بالضبط: أنت متأخرة بصرخة. أنا أعرف النساء. كل

ما لديهن من صرخـــات يطلقنها من دون أن يتنازلن عن صرخة واحدة. إنك مازلت ممســـكة عن إطلاق صرختـــك. ولكن يكفي أن يطرق البوليس بابك حتى تجدي الســـعادة في إطلاقها. أي كارثة أنك لســـت رجلا، فقد كان من الممكن أن تصبحي حظي، ولأنك امرأة فأنت بالطبيعة قدري.

فيرونيك : أنا قدرك؟

جورج : وأي شـــيء آخر تكونينه؟ المرأة بـــاب يوصد، وعقدة يزداد قيدها.

فيرونيك : (مغتاظة) لقد أخطأت في الطابق: إذا كان الأمر يتعلق بالقدر، فلتتوجه إلى المرأة التي تقطن الطابق الثاني، وقد ســـبق لها أن حطمت حياة رجلين متزوجين. أما أنا فســـأترك جميع الأبواب مفتوحة.. (تتوقف عن الكلام وتنطلق ضاحكة) لقد كدت حقا أن تنالني...

جورج : معذرة.

فيرونيك : لكل قوس وتران. الإدراك للرجال، والتحدي للنساء. ونتظاهـــر بالتفكير، إننا جميعا متشـــابهات. إن كل واحـــدة منا تريد أن تكون فريدة. تقول: «إنك امرأة، إذن فسوف تســـلمينني للبوليس». لقد كنت تنوي أن توقعني في هذه اللعبة، وكنت سأتحمس لكي أبرهن لك على أني لا أشـــبه أحدا. ياصديقي المسكين هذا جهد ضائع، فليس عنـــدي أي رغبة في التفرد، إني أشبه كل النساء، ويرضيني أن أشبههن. (يدق جرس باب الدخول)

جورج : إنه...

من المسرح العالمي

في هذا العدد

نيكراسوف

كتب سارتر دراما «نيكراسوف» خلال عام ١٩٥٥، وظهرت في ١٩٥٦، وهي بالتالي تنتمي إلى المرحلة الثانية من أعماله التي يتكشف فيها البعد الاجتماعي في مستويين، أولهما: مستوى بناء الشخصيات الواعية بماضيها، وما تولد عنه من معرفة متواترة بالأنا والآخر، لم تؤد إلى تشييء الوعي، أو تفقده قدرته على تجاوز نفسه في صميم تطلعه للمستقبل، وثانيهما: مستوى الموقف الابتدائي وتطوره، وما يبنيه من علاقات عمل وأفكار مراوغة، محتويا - في الوقت ذاته - سياق الصراع بين الكتلة الاشتراكية (ممثلة في الاتحاد السوفييتي) والكتلة الرأسمالية (ممثلة في أمريكا)، وهو الصراع الذي عُرف بالحرب الباردة. فلا يكاد الأفاق «جورج دي فاليرا» يحظى بجرعة حياة استثنائية، مُفْلتا من محاولة انتحاره وقبضة الشرطة، حتى يخترق صحيفة يمينية موالية للحكومة، بصفته «نيكراسوف» وزير الداخلية السوفييتي المختفي من المشهد السياسي، بما في جعبته من أسرار النظام وفضائحه التي يمكنه أن يبوح بها، فلا يلبث أن يتبوأ مكانة مرموقة، ويحظى بحماية كبرى المؤسسات الحاكمة، وهو في الحقيقة لا يملك إلا الأكاذيب.

ISBN: 978 - 99906 - 0 - 271 - 5
رقم الإيداع: (٢٠٠٩/٠١٦)

نيكراسوف - جان بول سارتر

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

من المسرح العالمي

الطبعة الثانية

نيكراسوف

جان بول سارتر

العدد التاسع
مايو 2009
9
تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

فيرونيك : إني خائفة. (جورج يرفع يديه)

جورج : هل ستسلمينني للبوليس؟

فيرونيك : ما رأيك؟ (ترى يديه مرفوعتين) أخفض يديك، إنك تفقدني صوابي. (يضع يديه في جيبيه)

جورج : ماذا ستفعلين؟

فيرونيك : ما تفعلـــه جميع النســـاء في مكاني.. (فتـــرة) ماذا يفعلن؟

جورج : لست أدري.

فيرونيك : أنت ترى أنهن يصرخن؟

جورج : قلت لك لست أدري.

فيرونيك : منـــذ لحظة، كنت أكثر ثقة من ذلك. (صوت الحرس من جديد) تتفـــوه بكلمة فأصبح أنا عصبية مندفعة تسيطر عليَّ عواطفي.

جورج : هل انحدرت إلى هذا الدرك الأسفل، ليصبح مصيري بين يدي امرأة؟

فيرونيك : إشـــارة واحدة منـــك وأنا أضع مصيـــرك بين أيدي الرجال. (طرق على الباب. «بوليس»!)

جورج : (وقد قرر أمره) من الواضح أنه لن يكون لك عليَّ أي فضل.

فيرونيك : طبعا.

جورج : وأنك لا تسألينني عرفانا بالجميل.

فيرونيك : لست مجنونة إلى هذا الحد.

جورج : وأنني سأرد لك الخير بالشر.

فيرونيك : فعلا.

جورج : إذن فلتخبئينـــي! (فجأة وفي جنون) بســـرعة! ماذا تنتظرين؟

فيرونيك : (تشير إلى باب حجرتها) ادخل هنا. (يختفي جورج، وتذهب هي لتفتح الباب. المفتش جوبليه يمد رأســـه من فتحة الباب)

المشهد الثاني

فيرونيك والمفتش جوبليه.

جوبليه : طبعا يا سيدتي لم تري رجلا أسود الشعر طوله متر وثمانية وسبعون؟

فيرونيك : (في حدة) طبعا لا!

جوبليه : كنت متأكدا من ذلك. (ينحني ويختفي، تغلق فيرونيك الباب)

المشهد الثالث

فيرونيك وجورج.

فيرونيك : تســـتطيع أن تعود. (يدخـــل جورج ملتحفـــا بطانية حمراء اللون، فتنطلق ضاحكة)

جورج : (في وقار) ليس هنـــاك مدعاة للضحك. إني أحاول

تدفئة نفسي. (يجلس) لقد كذبت!

فيرونيك : أجل؟

جورج : هذا لا يليق!

فيرونيك : لقد كذبت من أجلك.

جورج : وحتى...

فيرونيك : إنك تغالي! لعلك لا تكذب؟

جورج : الأمر يختلف بالنسبة إليَّ، فأنا رجل لا شرف لي... ولكن إذا فعل كل الشرفاء مثلك...

فيرونيك : وبعد؟

جورج : ماذا عساه أن يصبح النظام الاجتماعي؟

فيرونيك : هاها..

جورج : هاها! ماذا تعني هذه الـ «هاها»؟

فيرونيك : ذلك النظام الذي تتحدث عنه..

جورج : أو تعرضين خيرا منه؟

فيرونيك : نعم.

جورج : أي نظام؟ أين هو؟

فيرونيك : هذا أمر يطول شرحه لك. لنقل في بساطة إني كذبت على البوليس لأني لا أحبهم.

جورج : هل أنتِ محتالة؟ مصابة بداء النشل؟

فيرونيك : قلت لك إني صحافية وشريفة.

جورج : إذن فأنت تحبينهم، فالرجل الشريف يحب البوليس

بالضرورة.

فيرونيك : ولماذا أحبهم؟

جورج : لأنهم يحمونك.

فيرونيك : لأنهم يحمونني قليلا جدا، ولذلك ضربوني الأسبوع الماضي. (تشمر عن ذراعها) انظر هذه الكدمات الزرقاء.

جورج : أوه!

فيرونيك : هاك ما فعلوه.

جورج : (في دهشة) هل كانت غلطة؟

فيرونيك : كلا.

جورج : إذن أنت مذنبة؟

فيرونيك : كنا نتظاهر.

جورج : من؟ أنت!

فيرونيك : أنا وغيري من المتظاهرين.

جورج : ولماذا كنتم تتظاهرون؟

فيرونيك : لنعلن سخطنا.

جورج : غير معقول! انظري إلى نفسك وانظري إليَّ، ثم قولي لي من منا له الحق في أن يسخط! حسنا، أنا لست كذلك على الإطلاق. لم أشك أبدا، ولم أتظاهر في حياتي. إني أقبل العالم كما هو وأنا على عتبة السجن أو عتبة الموت... وأنت ترفضين، وأنت في العشرين من عمرك وحرة. (في تشكك) أنت حمراء باختصار.

فيرونيك	:	وردية اللون.
جورج	:	حسن حسن. ووالدك؟ ماذا يقول عن كل هذا؟
فيرونيك	:	إن المسكين يأسف له.
جورج	:	هل هو من الجانب الآخر؟
فيرونيك	:	إنه يكتب في «سوار آباري».
جورج	:	أنا سعيد بذلك! إنها جريدتي. والدك رجل عظيم شريف، وليس عنده غير نقطة ضعف واحدة هي أنت. (يرتجف، يعطس، فيلف نفسه جيدا في البطانية) يا لها من أمسية جميلة! أدين بالحياة لمتوسل يستطيب فعل الخير من دون مقابل، وأدين بالحرية لشابة ثورية تعشق الجنس البشري. لا بد أننا في الأسبوع الخيري! (فترة) يجب عليك أن تكوني راضية فقد بذرت سوء النظام، وخنت طبقتك، وكذبت على من يتولون حمايتك الطبيعيين وأهنت رجلا.
فيرونيك	:	أهنتك؟!
جورج	:	طبعا. لقد جعلت مني موضوعا ما.. موضوعا تعسا لحبك للبشر.
فيرونيك	:	أو كنت تصبح شيئا آخر في عربة السجن؟
جورج	:	كلا، ولكني كنت سأستطيع أن أكرهك وأنغلق على نفسي آه! لقد احتلتِ عليّ.
فيرونيك	:	أنا؟
جورج	:	(في عنف) احتلت عليَّ! إنك لا ترين أبعد من طرف أنفك، ولكني أنا أفكر وأتأمل. إني أتطلع إلى

المســتقبل... إنه مظلم، هذا المســتقبل، مظلم جدا. إنقاذ الناس ليس هو كل شــيء ياصغيرتي، بل يجب أن يعطيهم إمكان العيش. أو ســاءلت نفســك ماذا عساي أن أصبح؟

فيرونيك : يخيل إليَّ أنك ستعود محتالا من جديد...

جورج : بل لن أعود!

فيرونيك : حقا؟

جورج : أنــا لا أقول ذلــك. أقول لم تعد لديَّ الوســائل لكي أصبح إنسانا سافلا غير شــريف. الاحتيال يتطلب رأس مــال معينا، ورصيدا في البنك. يتطلب بدلتين كاملتين، وســموكنج، وإن أمكــن رداء للصباح، واثني عشــر قميصا، وســتة أزواج من الغيارات الداخلية، وســتة أزواج من الجــوارب، وثلاثــة أزواج أحذية، ومجموعة ربطات عنق، ودبوسا من الذهب، وحقيبة من الجلد، ونظارة مــن الصدف. إني لا أمتلك غير هــذه الخرق البالية وليس معــي مليم واحد، فكيف تريدينني أن أفعــل؟ هــل أســتطيع أن أتقدم إلى مدير بنك فرنســا بهذا المظهر؟ لقــد ألقوا بي إلى الحضيض.. إلــى أعماق الحضيــض، فلم يعد في مقــدوري أن أعــاود الصعود.. وكل هــذا من جراء خطئك. إنك لم تنقذيني من السجن، إلا لكي تقذفي بــي إلى الهوان. كنت في الســجن احتفظ بكرامتي، ولكني أريق ماء وجهي كمتســول. أنا متســول؟ أنا؟ لست أشكرك يا سيدتي.

فيرونيك : وإذا وجدت لك عملا؟

جورج	:	وظيفة؟ ثلاثين ألف فرنك في الشهر، وعملا، وصاحب عمل؟ احتفظي بها، فأنا لا أبيع نفسي.
فيرونيك	:	كم يلزمك لكي تقتني ما يحتاج إليه دولاب ملابسك.
جورج	:	لا أدري.
فيرونيك	:	لدي بعض النقود ...
جورج	:	ولا كلمة بعد ذلك. النقود شيء مقدس. لا أقبلها أبدا بل آخذها.
فيرونيك	:	خذها.
جورج	:	لا أستطيع أخذها منك مادمت أنت تعطينني إياها. (فجأة) إني أقترح عليك صفقة. طبعا هي صفقة شريفة، ولكن ليس من حقي أن أطلب الصعب. إني أعطيك وحدك حديثا صحافيا ينشر لأول مرة في العالم.
فيرونيك	:	أنت! لي أنا!؟
جورج	:	أنت صحافية؟ اسأليني.
فيرونيك	:	عن ماذا؟
جورج	:	عن مهنتي.
فيرونيك	:	ولكني قلت لك إني أشتغل بالسياسة الخارجية. ثم إن جريدتي لا تهتم بالمحتالين.
جورج	:	آه! جريدة تقدمية! لا بد أنها ثقيلة على القراء. (فترة) أنا جورج دي فاليرا.
فيرونيك	:	(مأخوذة على الرغم من كل شيء) فا ...

جورج	:	فاليرا العظيم، نعم.
فيرونيك	:	(مترددة) طبعا..
جورج	:	بعكوكتك فقيرة فيما أظن..
فيرونيك	:	نعم، فقيرة.
جورج	:	أنا لا أطلب سوى بدلتين، ودستة قمصان، وثلاث ربطات عنق وحذاء، ومن الممكن دفع أجري عينيًّا. (ينهض) في عام ١٩١٧ وفي موسكو ولد طفل أزرق العينين من حارس أسود وروسية بيضاء...
فيرونيك	:	كلا.
جورج	:	ألا يهمك هذا؟
فيرونيك	:	ليس لدي الوقت. قلت لك إني كنت على أهبة الخروج.
جورج	:	وفيما بعد؟
فيرونيك	:	بصراحة، كلا. أنت تعرف أن المحتالين سواء كانوا موهوبين أو غير موهوبين...
جورج	:	لتذهبي إلى الشيطان! (يسمع صوت فتح باب الدخول) ما هذا؟
فيرونيك	:	أو! إنه والدي...
جورج	:	سأذهب لـ...
فيرونيك	:	إذا رآك فسوف يسلمك للبوليس. ادخل هنا الآن وسوف أتحايل عليه. (يختفي جورج في اللحظة التي يفتح فيها الباب)

المشهد الرابع

فيرونيك وسيبيلو.

سيبيلو : أمازلت هنا؟

فيرونيك : كنت على أهبة الخروج. لم أكن أظن أنك ستعود مبكرا هكذا.

سيبيلو : (في مرارة) ولا أنا.

فيرونيك : اسمع يا والدي، لا بد أن أقول لك...

سيبيلو : السفلة!

فيرونيك : من؟

سيبيلو : كل الناس. يخجلني أن أكون إنسانا. أعطيني شيئا أشربه.

فيرونيك : (وهي تقدم له كأسا من الشراب) تصور أن...

سيبيلو : نحن ناكرون للجميل، كذابون، جبناء، أشرار. إن المبرر الوحيد لوجود الجنس البشري هو حمايته للحيوان.

فيرونيك : منذ قليل كنت...

سيبيلو : أريد أن أكون كلبا! هذا الحيوان يعطينا المثل في الحب والوفاء. ولكن، كلا. إن هذه الفصيلة مخدوعة في الإنسان، فهي من البلاهة بحيث تحبنا. أريد أن أكون قطا. قطا، كلا. إن الثدييات كلها متشابهة. لماذا لم أكن حوتا يقتفي أثر السفن ويأكل البحارة!

فيرونيك : ماذا فعلوا بك من جديد يا والدي المسكين؟

سيبيلو : لقد طردوني يا صغيرتي.

فيرونيك	:	إنهم يطردونك كل خمسة عشر يوما.
سيبيلو	:	هذه المـرة هي الأخيـرة! فيرونيك، أنت شـاهدتي على أني ألتهم الشـيوعيين منذ ما يقرب من عشـر سـنوات. إنه غذاء عسـر الهضـم لا يتغير. كم من مرة تمنيت أن أغيـر طريقة طعامي، لمجرد التغيير، فـآكل قسيسـا أو ماسـونيا أو صاحـب ملايين أو امـرأة، ولكن عبثـا حاولت. إن قائمـة طعامي كما هي باسـتمرار. وهل أبيت يومـا القيام بواجبي؟ لم أكن قد انتهيت من هضـم مالنيكوف حتى كان علي أن التهم خروشتشـيف. فهل تذمـرت؟ كل يوم آتي بموضـوع جديد. من الذي قام بالعمل التخريبي في ديكسمود؟ والمؤامرة المعادية للوطن من الذي دبرها؟ وضربة الحمام الزاجل؟ أنا. ودائما أنا. عشر سنوات دافعت فيها عن أوروبا من برلين إلى سـايجون. لقد اعتديت على فيتنام، واعتديت على الصين، واعتديت على الجيش السوفييتي بطائراته وعرباته الحربية. ثم تصوري بعد ذلك يا صغيرتي الجحود الإنسـاني وكيف يكون: مع أول تقصير لي من الاعتداء يطردني رئيس التحرير.
فيرونيك	:	هل حقا فصلت؟
سيبيلو	:	كأي مخلـوق. إلا إذا وجـدت فكرة مـن الآن حتى الغد.
فيرونيك	:	(بلا تعاطف) ستجدها، لا تخف.
سيبيلو	:	لا، ليـس هذه المرة! ماذا تريدين، أنا لسـت فذا: أنا رجل عادي جدا بدد عصارة فكره. من جل سـبعين ألف فرنك في الشـهر. عشر سـنوات كنت خلالها

أُومض كالبرق. كنت بيجاس pégase الحصان الطائر، وكانت لي أجنحة. لقد احترقت هذه الأجنحة. فماذا تبقى. هيكل لا يعطي سـوى لحمه. (يقطع الحجرة مشيا) عشر سنوات خدمة وفية، تنتظر بعدها كلمة طيبة وعرفانا بالجميل. ولكن كلا... لا شـيء سوى اللـوم والتهديـد. أوه! سـوف ينتهي بـي الأمر إلى الحقد على زملائك الشـيوعيين. (في استحياء) يا ابنتي الصغيرة؟

فيرونيك : والدي؟

سيبيلو : ألا أجـد عندك أنت ـ وأقول ذلك علانية ـ ألا أجد عندك فكرة؟ ألا تعرفين شيئا ضدهم؟

فيرونيك : أو! والدي!

سيبيلو : أصـغ إلي يا صغيرتي: أنا لم أقف قط ضد معارفك على الرغـم من أن ذلك قد نال من سـمعتي، ولعل ذلـك أيضا هو أصل بلائي. لقـد تركتك دائما حرة منذ مرض والدتك المسـكينة، على أن تتعهدي فقط بأن تجنبيني السـوء حينما يستولي أصدقاؤك على الحكم. ألـن تكافئي رضائي هـذا؟ أتتركين والدك العجوز في القذى؟ إني أسألك بعض الجهد يا طفلة، القليـل جدا من الجهد. إنك ترينهم من قرب، هؤلاء الشيوعيين، ولا بد أن قلبك متحامل منهم.

فيرونيك : بل كلا يا والدي.

سيبيلو : دعك من هذا!

فيرونيك : إنهم أصدقائي.

سيبيلو : هذا سبب أدعى. عيوب من يمكن معرفتها إن لم تكن

عيوب أصدقائك؟ أنا مثلا، ليس لي غير أصدقاء في هيئة تحرير المجلة: حسـنا! أقسم لك أني لو أردت الكلام... اسـمعي: إني أقترح عليك صفقة، تقولين لي ما تعرفينه عن ديكلو duclos وأفضح لك جولو- لي - برتييل Julot - Les - Bretelles ـ سيكون لديك مادة لموضوع صحافي رهيب.. أتوافقين؟

فيرونيك : كلا يا والدي.

سيبيلو : إني مكلف بهذا.. وابنتي تهجرني غارقا في أوحالي. اذهبي عني!

فيرونيك : سأخرج، سأخرج. ولكن أريد أن أقول لك...

سيبيلو : فيرونيك! أو تعرفين من الذي يحتضر؟ إنه الإنسان.. العمـل، العائلة، الوطن، كل هـذا يتحلل ويتبدد. آه! هذا موضوع صحافي «غروب الإنسان» ما رأيك؟

فيرونيك : إنك تقرأ هذا كل شهر في مجلة «بروف» preuves

سيبيلو : معك حق. فليذهب إلى الشيطان!

فيرونيك : من؟

سيبيلو : الإنسـان. أنـا طيب حقا لكي أفلق رأسـي من أجل سبعين ألف فرنك في الشهر. ثم إن الشيوعيين بعد كل هذا لم يفعلوا شـيئا معي! وبمرتب قدره سبعون ألف فرنك في الشـهر يصبح من الطبيعي أن أكون في جانبهم!

فيرونيك : أنا لم أدفعك إلى قول هذا الكلام.

سيبيلو : لا يا ابنتي، لا، أنت لم تستميليني. أنا رجل ذو تقاليد قديمـة، وأحب الحرية جـدا جدا، وأحترم بشـدة

الكرامةَ الإنســـانية. (يعتدل فجأة) ما أعظم احترام الكرامة الإنسانية وما أجمله! لقد طردت مثل إنسان منحرف! صحافـــي عجوز ورب أســـرة، إلى عرض الطريق براتب شـــهر وبلا معاش! آه، لعل هذا يكون موضوعا «ليس للعمـــال العجائز معاش في الاتحاد الســـوفييتي» (ينظر إلى نفسه في المرآة). لا بد لهم من شيء عند المشيب.

فيرونيك : إن لهم معاشا ياوالدي.

سيبيلو : اخرســـي اذن، دعيني أفكر. (بعـــد فترة) موضوع لا يصلح، سيكون للقارئ الحق في أن يقول لنا: «قد لا يكون للعامل الروسي معاش، ولكن ليس هذا على كل حال داعيا إلى تسليح ألمانيا!». (فترة) فيرونيك، لابد من تسليح ألمانيا. ولكن لماذا، هيه؟ لأي داع؟

فيرونيك : ليس لذلك داع.

سيبيلو : بلى ياطفلتي، هناك داع لذلك. فقد ظللت طوال حياتي أعاني من الحياة، وقد فاض كيلي، أريد للآخرين أن يعانوا بدورهم. وســـيفعلون ذلك وأقســـم لك إن هم سلحوا ألمانيا. سلحوها، سلحوها إذن! سلحوا ألمانيا واليابان وأشـــعلوا النيران فـــي أركان الدنيا الأربعة! ســـبعون ألف فرنك للدفاع عن الإنســـان! أو تعقلين ذلك! بهذا السعر يستطيع أن ينفق كل الرجال.

فيرونيك : وستموت أنت كذلك.

سيبيلو : حبذا! لم تكن حياتي ســـوى مســـيرة نعش لم يتبعه أحد، ولكن موتي، معذرة، سيحدث ضجة. أي تعظيم ســـأناله! إني أحـــب عن طيب خاطـــر أن أرحل عن

هذا الوجـــود لو رأيت الأب الصغيـــر جيلو قد جعل من نفســـه شمسا فوق رأسي. سبعون ألف ورقة في الشـــهر، ســـبعون ركلة قدم في العجز كل يوم! لنمت جميعا معا، ولتحيَ الحرب! (يختنق ويسعل)

فيرونيك : (تسقيه) اشرب

سيبيلو : أوف.

فيرونيك : يوجد متشرد في حجرتي.

سيبيلو : هل هو شيوعي؟

فيرونيك : كلا، على الإطلاق.

سيبيلو : إذن، ماذا يهمني من أمره؟

فيرونيك : البوليس يطارده.

سيبيلو : حســـن! اتصلي بقســـم البوليس بالتليفون، واطلبي إليهم أن يحضروا لأخذه.

فيرونيك : ولكني يا والدي أريد أن أبقي عليه.

سيبيلو : وماذا فعل رجلك هذا؟ إذا كان قد ســـرق فلا بد من عقابه.

فيرونيك : لم يســـرق. كن لطيفا ولا تشـــغل بالك به. ابحث عن فكرتك في هدوء تام، وفي الصباح سيرحل من دون أن يحدث ضجة، ولن نراه بعد ذلك أبدا.

سيبيلو : حســـن! إذا بقي هادئا تماما فسأغض الطرف عنه، ولكـــن إذا حضر البوليس للبحـــث عنه، فلا تعتمدي عليَّ في الكذب!

فيرونيك : (توارب باب حجرتها) أنا ذاهبة، تستطيع أنت البقاء

هنا طوال الليل، ولكن لا تخرج من حجرتي. إلى اللقاء. (تغلق الباب) إلى الغد ياوالدي، ولا تقلق لفكرتك، إنها دائما الفكرة نفسها التي تضيق عليك الخناق، وأنت مضطر إلى أن تجدها.

المشهد الخامس

سيبيلو بمفرده.

سيبيلو : لتذهبي إلى الشيطان! (تخرج) الفكرة نفسها! مؤكد هي الفكرة نفسها! وبعد؟ لا تنال الرضا كل مرة إلا إذا جددت بها شيئا. (يدفن رأسه بين راحتيه) حياة ستالين في صور. إنهم لا يريدون ذلك، البلهاء، ولست أدري لماذا؟ (جورج يعطس، سيبيلو ينصت ثم يعود إلى تأملاته) تخريب... مؤامرة... خيانة... إرهاب... (ومع كل كلمة يتفكر ويهز رأسه) مجاعة... مجاعة؟ هيه! (فترة) كلا، قديمة. إنها مستعملة منذ ١٩١٨. (يتناول بعض الجرائد ويقلبها) ماذا فعل؟ (يقلب الجرائد) لا شيء؟ هذا غير ممكن! من الذي يصدق أنه لا يرتكب كل يوم ظلما أو جريمة غادرة في بلد سكانه مائتا مليون؟ ها هو ذا الستار الحديدي. (يتفكر من جديد) تخريب... مؤامرة. (جورج يعطس فينزعج سيبيلو) لو كان في مقدوري فقط أن أعمل في هدوء! خيانة... مؤامرة... لنتناول الموضوع من الطرف الآخر: ثقافة غربية... رسالة أوروبا... حقوق الفكر. (جورج يعطس) كفى! كفى! (يعود إلى السرحان) حياة ستالين في صور (صوت

صفارات في الطريق. يستمر سيبيلو في مكانه) أوه! (يخفي رأسه من جديد بين راحتيه. تلتمع في رأسه فكرة) حياة ستالين من غير صور... (جورج يعطس) سأقتله هذا المخلوق!

جورج : (في الكواليس) اللعنة!

سيبيلو : خلصوني منـــه.. خلصوني منه. (يذهب إلى التليفون ويدير القرص) آلو.. قسم البوليس؟ هنا رينيه سيبيلو، صحافـــي، شـــارع جولدون رقم ١٣ الـــدور الأرضي، والباب إلى اليسار. لقد دخل بيتي مخلوق. ويبدو أن البوليس يبحث عنه. هو ذاك. ابعثوا إليَّ أحدا. (يفتح الباب على هذه الكلمات الأخيرة ويبدو جورج)

المشهد السادس

سيبيلو وجورج.

جورج : أخيرا، رد فعل ســليم! يا ســيدي أنت رجل طبيعي! اســمح لي بأن أشــد على يديك. (يتقــدم منه مادا يده)

سيبيلو : (يتراجع إلى الوراء في فزع) النجدة!

جورج : (يلقي بنفســه على ســيبيلو) صه! صه! (يسد فمه بيـــده) هل لـــي رأس قاتل؟ يا له من ســـوء فهم! أنا أعجـــب بك وأنت تظـــن أني أريد ذبحـــك! نعم، أنا أعجـــب بك. حديثك في التليفـــون كان عملا رائعا! ولا بد أن يُتخذ ذلك مثلا لجميع أولئك البلهاء الذين

أضلهم تحـــرر زائف، والذين تدهورت أحاسيســـهم بحقوقهم. لا تخـش أن أهرب، أريد أن أكون صانعا لمجدك، ستنتشـــر الجرائد غـــدا نبأ القبض علي في بيتك. أنت تصدقني، أليـــس كذلك؟ أنت تصدقني؟ (سيبيلو وهو مكمم يهز رأسه مؤمنا) حسنا.. (يترك ســـيبيلو ويتراجع إلى الخلف خطـــوة) دعني أتأمل الرجل الشـــريف في جلاله العالـــي الكامل! (فترة) لوقلت لك إنني حاولت الانتحار منذ قليل لكي أهرب ممن يطاردونني؟

سيبيلو : لا تحاول أن تستدر عطفي.

جورج : عظيـــم! ولو أنـــي أخرجت من ثيابي الممزقة كيســـا صغيرا من المســـحوق، فإذا ما ابتلعت ما فيه وقعت ميتا تحت قدميك؟

سيبيلو : وبعد؟

جورج : ماذا عساك تقول؟

سيبيلو : سأقول: «لقد حكم البائس على نفسه».

جورج : يقين هادئ لضمير حي لا غبار عليه! يبدو يا سيدي أنك لم تشك مطلقا في وجود الخير.

سيبيلو : طبعا.

جورج : ... وأنـــك لا تصغي إلى تلـــك المذاهب الهدامة التي تجعل من المجرم نتاجا للمجتمع.

سيبيلو : المجرم مجرم.

جورج : إننا نتقـــدم! المجرم مجرم: جميل قـــول هذا الكلام الجميـــل! آه... ليس أنت يا ســـيدي الـــذي أخاطر

باستعطافه، وأنا أسترجع أمامه طفولتي التعسة.

سيبيلو : لن يجدي هذا الكلام. لقد كنت أنا طفلا معذبا.

جورج : ولا يعنيك كثيرا ـ أليس كذلك ـ أن أكون من ضحايا الحرب العالمية الأولى والثورة الروسية والنظام الرأسمالي؟

سيبيلو : هناك آخرون هم ضحايا أيضا لكل هذا ـ أنا، مثلا ـ ولا ينحطون إلى مستوى السرقة.

جورج : عندك جواب لكل شيء. ولا شيء يؤثر في معتقداتك. آه يا سيدي، لكي يكون لك هذه الصفاقة وهذا البريق في عيني، وهذا القلب المتحجر، لا بد أن تكون معاديا لليهود؟

سيبيلو : كان عليَّ أن أفكر في ذلك، هل أنت يهودي؟

جورج : لا يا سيدي، لا. ولكي أعترف لك بشيء أقول إني أشاركك في عدائك لليهود. (على إشارة من سيبيلو) لا تغضب، «أشاركك» فيها مبالغة. لنقل إني أجمع فتات هذا العداء. وحيث إنه ليس لي الحظ السعيد في أن أكون شريفا، فأنا لا أتمتع بيقينك. أنا أشك يا سيدي، أشك. وهذا من خصائص النفوس المضطربة، إنني إن أردت ذلك عن طيب خاطر ـ يحتمل أن أكون عدوا لليهود.. (يتقرب إليه): والبوليس؟ أنت تكرهه، أليس كذلك؟

سيبيلو : كفى مهاترة! ليس لدي الوقت ولا الرغبة في أن أصغي إلى ثرثرتك. أرجوك أن تعود أدراجك إلى هذه الغرفة فورا، وتنتظر فيها، ومن دون ضجيج، وصول البوليس.

جورج : سأنسحب إلى أبهاء منزلك! قل لي فقط إنك تكره البوليس.

سيبيلو : أوه، طبعا!

جورج : قل ما هو أفضل، حتى تسعدني، أقسم لك أنه آخر سؤال لي.

سيبيلو : ليس عليهم إلا أن يبقوا في بيوتهم.

جورج : عظيم! تقبل مني يا سيدي أن أرفع لك قبعتي احتراما. إنك شريف إلى حد الوحشية. وبعد هذه اللغة الوجيزة يتبين لنا توافق وجهات النظر بيننا. ولن يدهشني ذلك. أي رجال شرفاء كنا سنصبح، نحن الأوغاد، لو أن بوليسك ترك لنا الوقت لذلك.

سيبيلو : ألا تغرب عن وجهي؟

جورج : كلمة أخرى يا سيدي، كلمة واحدة، وأغرب... ماذا! أنت أيها الفرنسي، ابن وحفيد فلاح فرنسي، وأنا الذي لا وطن له، ضيف فرنسا المؤقت... أنت الشرف بذاته، وأنا الجريمة، وعلى الرغم من التناقض بين الرذائل والفضائل نمد يدينا ونتصافح، ونحاكم معا اليهود والشيوعية والأفكار الهدامة؟ لا بد أن يكون لاتفاقنا معنى عميق. هذا المعنى أعرفه ياسيدي وسأقوله لك: نحن الاثنان نحترم الملكية الخاصة.

سيبيلو : أنت تحترم الملكية؟

جورج : أنا! أعيش عليها يا سيدي، فكيف لا أحترمها؟ لقد كانت ابنتك تريد إنقاذي، وأنت، أنت وشيت بي، ولكني مع ذلك أحس بأني أقرب إليك منها. والنتيجة العملية التي استخلصها من كل ذلك هي

أنه يجب علينا، أنت وأنا، أن نعمل معا.

سيبيلو : نعمل معا! من؟ نحن؟ أنت مجنون!

جورج : أستطيع أن أؤدي لك خدمة جليلة.

سيبيلو : أنت تدهشني.

جورج : منذ قليل كانت أذني ملتصقة بالباب، ولم أفقد سمع شيء من حديثك مع ابنتك. إنك تبحث عن فكرة فيما أظن، حسن، هذه الفكرة في مقدوري أن أقدمها لك.

سيبيلو : فكرة؟ عن الشيوعية؟

جورج : نعم...

سيبيلو : أنت... هل تعرف القضية.. ؟

جورج : المحتال يجب عليه أن يعرف كل شيء.

سيبيلو : إذن هات فكرتك، هاتها بسرعة، وسألتمس لأجلك رأفة المحكمة.

جورج : مستحيل!

سيبيلو : لماذا؟

جورج : لن أستطيع مساعدتك إلا إذا كانت يداي طليقتين.

سيبيلو : البوليس...

جورج : نعم، البوليس. سيحضر. إنه في الطريق وسيكون هنا بعد دقيقتين، وعليه فلدي الوقت لكي أقدم نفسي: يتيم الأب والأم، لم يكن أمامي منذ الطفولة مفر من

الاختيار بين النبوغ والمــوت، فاخترت النبوغ، وليس في ذلــك فضل لي.. إني نابغة يا ســيدي، كما أنك شريف، وبالغزارة القاسية نفسها التي لا ترحم. هل تخيلت في حياتك ما يمكن أن يفعله اتحاد النبوغ مع الشــرف، الإلهام مع المكابرة، النور مع العمى؟ سوف نصبح نحن الاثنان ســيدَي العالم.. إن لدي أفكارا، وأنتج منها بالعشــرات في كل لحظة. ولسوء طالعي لا تقنع أحدا، فأنا لا أتمسك بها بما يكفي. أما أنت فلا تملك أفــكارا، بل هي التي تملــكك، إنها تطبق عليك بمخالبها، تحرث رأســك وتسد عينيك. ولهذا الســبب بالذات تقنــع الآخرين. إنها أحــلام قوية، تأخــذ بألباب أولئك الذين بهــم حنين إلى التحجر. والآن هــب أن فكرة جديدة هاربة مني قد اســتولت عليك، ستتخذ المسكينة هيئتك بسرعة وسيصبح لها مظهر غاية في الجمــود والتفاهة والصدق إلى حد أن تفرض نفســها على العالــم. (جرس الباب يرن - ينتفض سيبيلو فزعا، وقد كان يصغي في انبهار)

سيبيلو : إنه...

جورج : نعم، عليك أن تقرر. لو ســلمتني فســتمضي الليلة في ســلام وأنت مطرود غدا صباحا. (الجرس يرن مــن جديد) ولو أنقذتني فســتجعلك عبقريتي غنيا وشهيرا.

سيبيلو : (في ميل) ومن يثبت لي أنك عبقري؟

جورج : (وهــو يعود إلى الحجــرة الخلفية) اســأل المفتش. (يختفي في أثناء ذهاب سيبيلو لفتح الباب)

المشهد السابع

سيبيلو والمفتش جوبليه.

جوبليه : السيد سيبيلو؟

سيبيلو : إنه أنا.

جوبليه : أين هو؟

سيبيلو : من؟

جوبليه : جورج دي فاليرا.

سيبيلو : (وقد أُخذ) أنت تبحث عن جورج دي فاليرا؟

جوبليه : نعم. أوه! من دون أمل. إنه ثعبان مائي. أتسمح لي بالجلوس؟ (يجلس) أرى أنه ليس عندك بيانو عتيق؟ إني أهنئك.

سيبيلو : ألا تحب البيانو العتيق؟

جوبليه : لقد رأيت منه كثيرا جدا.

سيبيلو : أين إذن.

جوبليه : عند الأغنياء. (يقدم نفسه) المفتش جوبليه.

سيبيلو : تشرفنا.

جوبليه : كم أحب بيتك. أحس أني لن أتركه من دون أسف.

سيبيلو : أنت في بيتك.

جوبليه : حقيقة أحسنت القول، فإن صالونك هذا هو طبق الأصل من صالوني، طراز ١٩٢٥.

سيبيلو : عفوا؟

جوبليه : (إشارة دائرية) الأثاث: ١٩٢٥؟

سيبيلو : آه ! ١٩٢٥ ؟ آه نعم.

جوبليه : معرض الفنون الزخرفية، شبابنا...

سيبيلو : عام زواجي.

جوبليه : وزواجي. لقد اختارت زوجتانا الأثاث مع أميهما، لم يكن لدينا شيء نقوله، فقد كان أهاليهن هم الذين يدفعون. هل تحب هذا الطراز؟ إنها كراسي موديل ١٩٢٥.

سيبيلو : أنت تعرف أن المرء لم يعد يرى هذا الطراز الآن. (يهز رأسه) كان هذا الأثاث في نظري مؤقتا...

جوبليه : طبعا! وهو الشيء الباقي، منذ عشرين عاما بعد ذلك...

سيبيلو : نعم.. بعد ذلك يتبين المرء أنه سيموت قريبا، وأن ما كان مؤقتا أصبح ثابتا ونهائيا.

جوبليه : سنموت كما عشنا في ١٩٢٥. (ينهض فجأة) ما الذي عندك هناك؟ لوحة مصور شهير!

سيبيلو : كلا، إنها صورة مطبوعة.

جوبليه : الحمد لله. إني أكره لوحات مشاهير الفنانين، وكذلك سيارات العظام، لأن الأغنياء يقتنونها بكثرة، مما يضطرنا إلى معرفة مختلف الموديلات.

سيبيلو : من أنتم؟

جوبليه : نحن شرطة المخدرات.

سيبيلو : وماذا تفعلون بذلك؟

جوبليه : نلطف بها أحاديثنا (يقترب من اللوحة) إنها صورة ضابط شرطة إنجليزي. لم يكن يخطر ببالي أنك تحب ضباط الشرطة الإنجليز.

سيبيلو : إني أفضلهم على العطس.

جوبليه : (يرفع اللوحة) آه! وما الذي تحت الصورة.

سيبيلو : ياإلهي.

جوبليه : الرطوبة، أليس كذلك؟

سيبيلو : نتيجة السكن بجوار نهر السين.

جوبليه : لا تحدثني عن ذلك. إني أسكن في جنفيليه. (جورج يعطس عدة مرات ثم يسب) ما هذا؟

سيبيلو : إنه الجار. لا يستطيع تحمل الرطوبة، إنها تصيبه بحساسية.

جوبليه : عندك حظ، على كل حال، أن يكون المصاب هو الجار. في جنفيليه إنه أنا الذي أصاب بتلك الحساسية. (يعاود الجلوس) يا سيدي العزيز، الرجل حيوان غريب، إني أهيم حبا ببيتك لأنه يذكرني ببيتي.

سيبيلو : لتشرح لي ذلك إذن!

جوبليه : حسن، ذلك أن أعمالي تقتضي ذهابي إلى أحياء جميلة. فيما مضى، كنت أعمل في شرطة المخدرات، فكلفت بالعمل في مكامن المحتالين والمجرمين، وهذا ينقلنا إلى باسي Passy. إني أجري تحرياتي في أماكن فوق مستواي الاجتماعي يا سيدي العزيز، وهم يشعرونني بذلك. لا بد أن أصعد من سلم الخدم، وأنتظر بين بيانو وزرع أخضر، وأبتسم لسيدات

يلبسن القفازات، ولسادة معطرين يعاملونني كأني واحد من الخدم. وفي أثناء ذلك، ولأنهم يضعون مرايا في كل مكان، أرى سحنتي المسكينة على كل الحوائط.

سيبيلو : ألا تستطيع أن تضعهم في مكانهم؟

جوبليه : في مكانهم؟ ولكنهم فيه! إنه أنا الذي لست في مكاني. ولكن لا بد أنك تعلم كل هذا في عملك.

سيبيلو : أنا! لو قلت لك إنه يجب عليَّ كل يوم أن أقبل «قدم» مديري!

جوبليه : هذا غير ممكن! أيضطرونك إلى ذلك؟

سيبيلو : إنه تعبير عن الموقف.

جوبليه : هيا، أنا أعلم معنى هذا الكلام، وأنا الذي أحدثك، قبلت أكثر من ألف مرة «قدم» مدير الأمن. إن الذي يعجبني في بيتك هو أنه يفوح بالفقر المدقع والمذلة الأبية. النهاية، إني أقوم بتحرياتي عند رجل مثلي: كأني عندي أنا نفسي بصورة ما. أنا حر، إذا طاب لي أن أقبض عليك أو أدق عنقك فلن يحتج أحد.

سيبيلو : أتفكر في ذلك؟

جوبليه : يا إله السماوات، كلا، إن لك تفكيرا طريفا للغاية. تفكيرك مثل تفكيري: بستين ألف فرنك في الشهر.

سيبيلو : سبعين.

جوبليه : ستين، سبعين، سيان. الشي نفسه. إنما يغير المرء تفكيره ابتداء من مائة ورقة. (منفعلا) يا صديقي المسكين سيبيلو!

سيبيلو : يا صديقي المسكين المفتش! (يتصافحان)

جوبليه : إننا وحدنا نستطيع تقدير بؤسنا وعظمتنا. اسقني شيئا على ذلك.

سيبيلو : عن طيب خاطر. (يملأ كأسين)

جوبليه : (يرفع كأسه) نخب حُماة الثقافة الغربية.

(يشرب)

سيبيلو : فليظل النصر لأولئك الذين يدافعون عن الأغنياء من دون أن يحبوهم. (يشرب) بالمناسبة، أليس عندك فكرة؟

جوبليه : ضد من؟

سيبيلو : ضد الشيوعيين.

جوبليه : آه! أنت تعمل في الدعاية! حسن! وتجد صعوبة في الوصول إلى هذه الفكرة. ولكن ليس أكثر مني أنا الذي لن أجد فاليرا الذي أبحث عنه.

سيبيلو : هل هو ماكر جدا؟

جوبليه : هو! لو لم أكن أخاف الألفاظ الضخمة لقلت لك إنه عبقري. على فكرة، ألم تقل لي إنه لجأ إلى بيتك؟

سيبيلو : قلت.. قلت إن مخلوقا...

جوبليه : إنه هو من دون أدنى شك. إذا كان هنا منذ قليل فلا بد أنه لايزال موجودا. كل نوافذ المنزل مراقبة، عندي رجال في الممر وعلى السلم. حسن، وبعد! إليك ما يثبت لك التقدير الذي أكنه له، لن أبحث في هذه الغرفة، ولن أدخل حتى في الحجرات الأخرى. أو تدري لماذا؟ لأني أعلم أنه قد دبر أمره لكي يتنكر

فــلا يعرفه أحد، أو لكي يترك المكان. من يدري أين هو الآن؟ وفي أي زي تتكر؟ ربما كان أنت.

سيبيلو : أنا؟

جوبليه : هدئ من روعك، إن الســطحية مثل الذكاء لا تقلد، لِنُنتهِ من هذا الأمر يا ســيدي العزيز. قل لي كلمتين أُودِعهما تقريري: لقد لمحته فأســرعت إلى التليفون لكي تبلغنا، وانتهز هو فرصة هذه الدقائق من الغفلة لكي يهرب؟ أهو ذاك؟

سيبيلو : أنا...

جوبليه : عظيم! (فترة) لم يبق لي إلا أن أنســحب، وأنا أحمل معي الذكرى العطرة لمشاركتك للحظات قصار. لا بد لنا أن نتقابل معا.

سيبيلو : كم يسعدني ذلك.

جوبليه : سأســمح لنفســي بأن أتلفن لك بين الحين والآخر. وكلما فرغنا من أعمالنا سوف نذهب معا إلى السينما، ونعيد أيام شبابنا. ألا ترافقني إلى الباب. (يخرج)

المشهد الثامن

سيبيلو وجورج

سيبيلو : (يذهب ليفتح باب الحجرة) هات فكرتك وأغرب عن وجهي.

جورج : كلا.

سيبيلو	:	لماذا؟
جورج	:	أفكاري تذوي بدوني، ولا فراق بيننا.
سيبيلو	:	في هذه الحالة سأستغني عنك، اخرج!
جورج	:	ألم تسمع ما قاله لك المفتش؟ أنا عبقري يا بابا!
سيبيلو	:	(مستسلما) وبعد؟ ماذا تريد؟
جورج	:	شـــيئا قليلا، أن تســـتبقيني إلى جوارك، حتى يخلي البوليس المنزل.
سيبيلو	:	ثم.. لا نقود؟
جورج	:	كلا. ولكن تمنحني إحدى بدلاتك القديمة.
سيبيلو	:	حسن، فلتبق. (بعد فترة) والآن فكرتك.
جورج	:	(يذهب ليجلس. يصب لنفسه كأسا من الشراب، يملأ غليونا لسيبيلو على مهل ويشعله). حسنا! هذه هي...

(ستار)

المنظر الرابع

الديكور: مكتب جول بالوتان.

المشهد الأول

جول وتافرنييه وبيريجور والسكرتيرة.

جول : كم الساعة الآن؟

تافرنييه : العاشرة إلا دقيقتين.

جول : ولم يحضر سيبيلو؟

تافرنييه : كلا.

جول : كان يصل دائما قبل الموعد..

بيريجور : لم يتأخر بعد.

جول : كلا، ولكنه الآن لم يعد يحضر مبكرا. لا أحد يساعدني. (تليفون)

السكرتيرة : (في التليفون) آلو؟ نعم. نعم، يا سيدي الرئيس. (لجول) لقد انعقد مجلس الإدارة الآن، والرئيس يسأل: هل من جديد؟

جول : جديد! ليذهب إلى الجحيم، قولي إني خرجت.

السكرتيرة : (في التليفون) كلا يا سيدي الرئيس، لا بد أنه يطالع البروفات. (لجول) لا يبدو عليه الرضا.

جول : قولي له إني احتفظ له بمفاجأة سعيدة.

السكرتيرة : (في التليفون) لقد قال وهو يغادر المكتب إنه يحتفظ لك بمفاجأة سعيدة. حسن.

جول : بماذا أجاب؟

السكرتيرة : إن المجلس كان ينتظر مكالماتك التليفونية.

جول : أيهـا المخرف العجوز! سـأخرب بيتـك بالمفاجآت. (للسكرتيرة) اطلبي لي سيبيلو على الفور.

السكرتيرة : (في التليفون) سـيبيلو يحضر عند رئيس التحرير. (لجول) لم يصل.

جول : كم الساعة الآن؟

السكرتيرة : العاشرة وخمس دقائق.

جول : (للآخرين) لقد قلت لكم ذلك: يبدأ المرء بألا يحضر مبكرا، وينتهي بأن يصل بعد الموعد. (فترة) حسـنا! حسنا، حسنا، لننتظر! (يتخذ جلسة مريحة) لننتظر في هدوء. (يتخذ جلسة مريحة أخرى) في هدوء تام! (لتافرنييه وبيريجور) استرخيا. (تبدأ السكرتيرة في الكتابـة على الآلة الكاتبة) يصـرخ: قلت في هدوء! (يقفز على قدميه فجأة) لم أخلق للانتظار. (يسير) إنهم يقتلون شخصا ما!

تافرنييه : أين ذلك يا سيدي الرئيس؟

جول : وهل أعرف؟ في القاهرة، في هامبورج، في فالبارنيرو، في باريس. طائرة مقاتلـة تنفجر فوق بوردو. فلاح يكتشف في حقله آثار رجل من كوكب مارس. إني أنا الأحداث الجارية يـا أطفالي، والأحداث الجارية لا تنتظر. (رنين تليفون) إنه سيبيلو!

السكرتيرة	:	(في التليفون) ألو، نعم، نعم يا سيدي الوزير. (لجول) إنه وزير الداخلية، يسأل: هل من جديد؟
جول	:	لست هنا.
السكرتيرة	:	كلا يا سيدي الوزير، المدير غير موجود. (لجول) إنه يتميز غيظا.
جول	:	قولي له إني احتفظ له بمفاجأة.
السكرتيرة	:	لقد قال المدير منذ قليل إنه يحتفظ لك بمفاجأة. حسن يا سيدي الوزير. (تعيد سماعة التليفون) سيتصل تليفونيا بعد ساعة.
جول	:	ساعة! ساعة لكي نعثر على هذ المفاجأة.
بيريجور	:	ستجدها يا جول.
جول	:	أنا! سأكون أول من يفاجأ بها. (يتوقف عن المشي) لنعد إلى الهدوء. يا قدرة الله! لنجتهد في التفكير في شيء آخر. (فترة) وبعد؟
تافرنييه	:	(في دهشة) وبعد؟
جول	:	فكروا!
بيريجور	:	حسن يا سيدي الرئيس. في ما ذا؟
جول	:	قلت لكم ذلك في وقت آخر.
بيريجور	:	سنفكر في وقت آخر.
جول	:	فكروا بصوت مرتفع.
بيريجور	:	(مفكرا) إني أتساءل إن كان صاحب البيت سوف يصلح السقف. إن المحامي ينصحني بأن أقاضيه! يقول إني سأكسب القضية، ولكني غير متأكد من ذلك.

تافرنييه : (مفكــرا) أين يمكن إذن أن أكــون قد وضعت بطاقة المتــرو هذه؟ لقد بحثت في جيوبــي كلها عبثا. ومع ذلك فأنا أرى نفســي مــن جديد مــرة أخرى هذا الصباح أمام شــباك التذاكر، أتنــاول نقودي باليد اليمنى واليسرى...

جول : اللصوص!

تافرنييه : (يستفيق فزعا) ما هذا؟

جول : أخيرا أرى قلوبكم، فماذا أجد فيها؟ أســقفا، تذاكر مترو! إن أفكاركم ملكي، أدفع ثمنها وتسرقونها مني! (للسكرتيرة) أريد سيبيلو! اتصلي به في بيته.

السكرتيرة : حسن، ياجول. (تدير القرص، وتنتظر. يتوقف جول عن المشي وينتظر) لا أحد يرد.

جول : ســألقي به إلى الخارج! لا، لا، لن أستمع إلى شيء! سألقي به إلى الخارج! وبمن نستبدله؟

تافرنييه : تييري مولنييه؟

جول : كلا.

تافرنييه : إن شخصيته مميزة، وترعبه الشيوعية.

جول : نعــم، ولكــن رعبه لا يصــل إلى الغيــر، وأنا أعرف اثنين قرآ مقالاته ثم ذهبا رأسا وانضما إلى الحزب الشيوعي. (بغتة) ونيكراسوف.. ما أخباره؟

بيريجور : يقولون إنه في روما.

جول : فــي رومــا! لقــد قُضي الأمــر. ســوف تحتفظ به

الديموقراطية المسيحية.

تافرنييه : لقــد كذبت وكالة تاس الخبــر على كل حال، وادعت أنه في كريميه Crimee منذ خمسة عشر يوما.

جول : ولم لا؟ دعونا من الحديث طويلا عنه الآن، ولتنتظروا تأكيد الخبر، ولا تقولوا على الخصوص إنه في روما. فمع أزمة الفنادق عندنا لا يجمل بنا أن نقوم بدعاية للسياحة في إيطاليا. لنتدبر الأمر يا صغاري، لنواجه الصعوبات ونتناول الثور من قرنيه. هل أنتم معي؟

تافرنييه وبيريجور : جول: نحن معك.

جول : ماذا يلزم لكي نقوم بحملة؟

بيريجور : رؤوس أموال.

جول : لدينا. وبعد؟

تافرنييه : ضحية.

جول : لدينا أيضا. ولكن بعد ذلك؟

بيريجور : موضوع.

جول : موضوع.. نعم! موضوع.

تافرنييه : موضوع مدوٍّ.

بيريجور : يحدث فرقعة!

تافرنييه : رعب وإغراء جنسي.

بيريجور : بعض الأبدان وبعض «الإثارة».

جول : إني أتخيل هذا الموضوع، أتخيله!

تافرنييه	:	نحن أيضا، يا سيدي الرئيس، نراه.
جول	:	إني أعرفه.
بيريجور	:	نحن نعرفه كذلك.. نعم نعرفه.
جول	:	أنتما أيضا تعرفانه؟
تافرنييه	:	طبعا!
جول	:	إذن قولا لي ما هو؟
بيريجور	:	آه!.. ليست صورة تضم...
تافرنييه	:	صورة عامة يصعب معها...
بيريجور	:	أعتقد أنه يجب العثور على أحد لكي...
تافرنييه	:	النهاية، لكي...
جول	:	وها هي النتيجة! (يجلس متكدرا. وفجأة) أنتم تضحكون أيها الصغار؟
تافرنييه	:	(كأنما أهين) نحن يا جول! كيف تستطيع أن تتخيل ذلك؟
جول	:	سوف تخطئون إذا ضحكتم. لو أني طردت فستطردون معي. (تليفون)
السكرتيرة	:	صحيح؟ فليصعد حالا. (لجول) إنه سيبيلو.
جول	:	أخيرا!

(يتسمر الأربعة وأنظارهم مثبتة على الباب الزجاجي، وحينما يفتح يشير جول لتافرنييه وبيريجور بالخروج. يخرجان وتتبعهما السكرتيرة)

المشهد الثاني

جول وسيبيلو وجورج.

جول	:	يا عزيزي سيبيلو الشجاع. أتعرف أن صبري كاد ينفد.
سيبيلو	:	لا بد أن تلتمس لي العذر يا سيدي.
جول	:	هيا، هيا. لقد نسيت. من هذا السيد؟
سيبيلو	:	إنه سيد.
جول	:	أرى ذلك جيدا.
سيبيلو	:	سأحدثك عنه بعد قليل.
جول	:	صباح الخير يا سيدي. (جورج لا يجيب) هل هو أصم؟
سيبيلو	:	إنه لا يعرف اللغة الفرنسية.
جول	:	(لجورج مشيرا إلى مقعد) اجلس إذن. (يمثل حركة الجلوس. يظل جورج بلا تأثر) ألا يفهم الحركات كذلك؟
سيبيلو	:	لأنك أديتها بالفرنسية.

(يبتعد جورج ويتناول من فوق المكتب جريدة تحمل عنوانا ضخما: «اختفاء نيكراسوف»)

جول	:	هل يقرأ؟
سيبيلو	:	كلا، كلا، كلا. إنه يشاهد الصور.
جول	:	(يضع يديه على كتفي سيبيلو) وبعد يا صديقي؟
سيبيلو	:	وبعد؟ (من دون أن يفهم)

جول	:	فكرتك؟
سيبيلو	:	آه! فكرتي.. (فترة) إني غاية في الأسف يا سيدي.
جول	:	(منفعلا) أليس عندك فكرة؟
سيبيلو	:	أعني.. (جورج خلف جول يشير إليه بالكلام) أوه! بلى، ياسيدي، طبعا عندي.
جول	:	لا يبدو عليك أنك فخور بها.
سيبيلو	:	كلا. (إشارة من جورج) ولكني.. ولكني متواضع.
جول	:	هل هي فكرة طيبة، على الأقل؟ (إشارة من جورج).
سيبيلو	:	(مهمهما) آه! طيبة جدا!
جول	:	وتأسف لذلك؟ سيبيلو، إنك مخلوق غريب. (فترة) لنسمع فكرتك. (صمت من سيبيلو) لا تقل شيئا. (جورج يحضه على الكلام بالإشارة، وسيبيلو لا يتكلم) فهمت ماذا تعني: إنك تريد العلاوة. أصغ إليَّ يا صاحبي. سيكون لك ما تريد وأعدك بذلك. ستحصل على علاوة إن راقتني فكرتك.
سيبيلو	:	أوه! كلا! كلا، كلا.
جول	:	ما هذا؟
سيبيلو	:	لا أريد علاوة.
جول	:	حسن، لن أزيد مرتبك. هيه! هل أنت راض؟ (متضايقا) النهاية، هل ستتكلم؟ (سيبيلو يشير إلى جورج بإصبعه) ماذا؟
سيبيلو	:	إنها هي.
جول	:	من، هي؟

سيبيلو	:	هو.
جول	:	(من دون أن يفهم) هو تعني هي؟
سيبيلو	:	هو يعني الفكرة.
جول	:	فكرتك، هي هو؟
سيبيلو	:	ليست فكرتي، لا، لا، لا! ليست فكرتي.
جول	:	إذن فهي فكرته؟ (جورج يشير بأن لا)
سيبيلو	:	(مطيعا جورج) ولا هذا.
جول	:	(مشيرا إلى جورج) النهاية، من هو؟
سيبيلو	:	إنه أجنبي.
جول	:	من أي جنسية؟
سيبيلو	:	آه! (مغلقا عينيه) سوفييتية.
جول	:	(وقد خاب فأله) فهمت.
سيبيلو	:	(منطلقا) موظف سوفييتي عبر الستار الحديدي.
جول	:	موظف كبير؟ (جورج يشير إلى سيبيلو بأن يقول نعم).
سيبيلو	:	نعم. (وقد عاد إليه رعبه) أعني كلا. متوسط. متوسط جدا. موظف صغير جدا.
جول	:	باختصار رجل لا قيمة له.
سيبيلو	:	هو ذا! (حركة حانقة من جورج)
جول	:	وماذا تريدني أن أعمل بموظفك السوفييتي هذا؟
سيبيلو	:	لا شيء ياسيدي، لا شيء مطلقا.

جول : كيف لا شيء؟ ولماذا أصطحبه؟

سيبيلو : (وقــد تمالك نفســه) كنت أظــن أنه يســتطيع أن يمدنا..

جول : بماذا؟

سيبيلو : بالمعلومات.

جول : معلومات! عن ماذا؟ عن ماكينات كتابة ســوفييتية؟ عن مصابيح المكاتب أو المراوح! ســيبيلو، لقد كلفتك بشن حملة ضخمة، وتقترح عليَّ مضامين لا تستقيم مع الحرية والســلام. منذ كرافشنكو kravchenko أو تــدري كم رأيت أنــا من طوابيــر لموظفين أثروا الحرية؟ مائة واثنين وعشــرين يا صديقي، حقيقيين أو مزيفين. لقد تلقينا ســائقي ســفارات، وخادمات أطفال، وسمكريا، وسبعة عشر حلاقا. وقد اعتدت أن أبعث بهم إلى زميلي روبنيه Robinet فـي جـريـدة الفيجــارو، وهــو لا يزدري أصغر خبــر. النتيجة: هبوط عام في أسعار كرافشــنكو وأمثاله. وآخرهم في التاريخ، ديميــدوف Demidoff وهو مدير كبير، واقتصادي مرموق، أمدنا بأربع موضوعات بصعوبة، وبعد ذلــك يبدو أن «بيدو» Bidoult نفســه لم يعد يدعوه إلى الطعام. (يتقدم من جورج) آه! الســيد قد اجتاز الســتار الحديدي! آه! السيد قد آثر الحرية! حسن، دعهم يقدمون إليه بعض الحساء وأرسله من طرفي إلى جيش الخلاص.

سيبيلو : برافو يا سيدي الرئيس.

جول : ماذا!

سيبيلو : لا تستطيع أن تدرك مدى ارتياحي. (إلى جورج في تشفي) إلى جيش الخلاص... إلى جيش الخلاص!

جول : وهذا هو كل ما في الأمر! أليس عندك فكرة أخرى؟

سيبيلو : (يفرك يديه) ولا واحدة! ولا واحدة على الإطلاق.

جول : أيها الأبله، أنت مرفوت.

سيبيلو : نعم يا سيدي الرئيس! أشكرك يا سيدي الرئيس! إلى اللقاء يا سيدي الرئيس! (يهم بالخروج فيستوقفه جورج ويجره إلى وسط المسرح)

جورج : أتسمح؟

جول : أنت تتحدث الفرنسية إذن؟

جورج : كانت أمي فرنسية.

جول : (لسيبيلو) وفوق ذلك تكذب! أغرب عن وجهي!

جورج : (ممسكا بسيبيلو) لقد أخفيت عليه ذلك حرصا مني.

جول : سيدي، إني أهنئك على إتقانك لغتنا الجميلة إلى هذا الحد، ولكنك بالفرنسية كما بالروسية تضيع عليَّ وقتي، وسأكون لك من الشاكرين إن تركت مكتبي على الفور.

جورج : وهذا ما أنوي عمله. (لسيبيلو) هيا إلى جريدة فرانس ـ سوار بسرعة.

جول : إلى فرانس ـ سوار! لماذا؟

جورج : (وهو يهم بالخروج) إن وقتك ثمين جدا. ولن أثقل عليك أكثر من ذلك.

جول : (يقف في وجهه) إنـــي أعرف جيدا زميلي لازاريف، وأستطيع أن أؤكد لك أنه لن يفعل شيئًا من أجلك.

جورج : إني مقتنع بذلك، أنا لا أنتظر شـــيئا من مخلوق، ولا يســتطيع مخلوق مســـاعدتي. ولكن، أنا أستطيع أن أفعل الكثير لجريدته ولبلادك.

جول : أنت!

جورج : نعم أنا.

جول : وماذا ستفعل إذن؟

جورج : سوف تضيِّع وقتك.

سيبيلو : نعم يا ســـيدي الرئيـــس، نعم ســـوف تضيِّع وقتك. (لجورج) لتخرج.

جول : ســـيبيلو.. مكانك، (لجورج) عنـــدي مع ذلك خمس دقائـــق فراغا. ولن يقال إني طـــردت رجلا من دون سماعه.

جورج : إنه أنت الذي ترجوني أن أبقى؟

جول : إنه أنا الذي أرجوك.

جورج : وهو كذلك. (ينحني تحت المنضدة ويحبو على أربع)

جول : ماذا تفعل؟

جورج : لا يوجد جهاز تســـجيل مُخبأ؟ لا يوجد مكبر صوت؟ حسن. (ينهض) هل لديك شجاعة؟

جول : أظن ذلك.

جورج : إذا تكلمت فستتعرض لخطر الموت.

جول : الموت! لا تتكلم، بل تكلم، تكلم بسرعة.

جورج : انظر إليّ. خير من ذلك (فترة) إذن؟

جول : إذن ماذا؟

جورج : لقد نشرت صورتي في الصفحة الأولى من جريدتك.

جول : أنت تعرف الصور.. (يتأمله) لا أذكر ذلك.

جورج : (يضع عُصابة سوداء على عينه اليمنى) وهكذا؟

جول : نيكراسوف!

جورج : إذا صرخت فقد ضعت. هناك سبعة من الشيوعيين المسلحين في مكاتبك.

جول : أسماؤهم؟

جورج : فيما بعد، الخطر ليس مباشرا.

جول : نيكراسوف! (لسيبيلو) ولم تقل لي ذلك!

سيبيلو : أقسم لك أني لم أكن أعرف ذلك يا سيدي الرئيس. أقسم لك.

جول : نيكراسوف! يا صاحبي سيبيلو، إنك عبقري!

سيبيلو : يا سيدي الرئيس، أنا مخلوق دنيء! دنيء! دنيء!

جول : نيكراسوف! إني أحبك! (يقبله)

سيبيلو : (يسقط على المقعد) كل شيء مستهلك! (يغمى عليه)

جورج : (ينظر إليه في ازدراء) أخيرا أصبحنا بمفردنا! (لجول) لنتحدث معا.

جول : أنا لا أريد أن أجرح شعورك، ولكن...

جورج : أنت لن تستطيع ذلك، حتى لو أردت.

جول : ما الذي يثبت لي أنك نيكراسوف؟

جورج : (ضاحكا) لا شيء!

جول : لا شيء؟

جورج : لا شيء على الإطلاق.. فتشني.

جول : أنا لا..

جورج : (في عنف) قلت لك أن تفتشني.

جول : حسن! حسن! (يفتشه)

جورج : ماذا وجدت؟

جول : لا شيء.

جورج : وهـذا هو الدليل القاطع. ما الذي كان يفعله دجال؟ كان يريك جواز سـفره ومذكـرات العائلة، وتحقيق شـخصية سـوفييتيا. ولكنك أنت بالوتـان، لو كنت نيكراسـوف وسـولت لك نفسـك أن تجتاز الستار الحديدي، أكنت سـتصبح أبله إلى درجة الاحتفاظ بأوراقك معك؟

جول : طبعا لا.

جورج : هذا ما كان يجب إيضاحه.

جول : يا للبراعة! (عبوسـا) ولكن، على هذا يسـتطيع أي مخلوق...

جورج : أو يبدو عليّ أني أي مخلوق؟

جول	:	لقد أذاعوا عنك أنك في إيطاليا...
جورج	:	تبا لهم! سوف يذيعون غدا أني في اليونان، في إسبانيا، في ألمانيا الغربية. ولكن دعهم يحضروا أولئك الدجالين، دعهم يحضروا جميعا وستعميك الحقيقة. نيكراسوف الحقيقي عاش خمسة وثلاثين عاما في الجحيم الأحمر، إن له عيون رجل آت من بعيد. انظر إلى عيني! نيكراسوف الحقيقي قتل مائة وثمانية عشر شخصا بيديه. انظر إلى يدي. نيكراسوف الحقيقي نشر الإرهاب عشر سنوات! استدع المزيفين الذين سرقوا اسمي، وسترى بالمقارنة من منا هو الأخطر. (يهجم على جول فجأة) أبك خوف؟
جول	:	أنا.. (يتراجع ويكاد يصطدم بالحقيبة)
جورج	:	أيها التعس! لا تلمس الحقيبة!
جول	:	(صارخا) آه! (ينظر إلى الحقيبة) ما الذي فيها؟
جورج	:	ستعرف ذلك فيما بعد. ابتعد. (جول ينزوي في ركن) أرأيت: إنك خائف. من الآن! آه! سأميتكم من الخوف جميعا، وسترى إن كنت نيكراسوف!
جول	:	إني خائف، ولكني لاأزال مترددا. لو كنت تخدعني...
جورج	:	إذن.. ؟
جول	:	فستنهار الجريدة. (جرس التليفون يرن. يتناول السماعة) آلو! صباح الخير ياعزيزي الوزير. نعم، نعم. طبعا! لم يعد يستحوذ عليّ شيء سوى هذه الحملة! نعم. نعم. كلا: ليس في الأمر أي تهاون!

إنـــي أســـألك أن تمهلني بضع ســـاعات فقط. نعم، شـــيء جديد. لا أســـتطيع شـــرح ذلك في التليفون. ولكن أرجوك ألا تغضب.. لقد وضع السماعة! (يضع السماعة)

جورج : (فـــي تهكم) أنـــت في حاجة ماســـة إلـــى أن أكون نيكراسوف.

جول : للأسف.

جورج : إذن فأنا هو.

جول : عفوا!

جورج : أنســـيت قواعد الديانة المسيحية؟ كانوا يثبتون وجود الله بحاجة الإنسان إليه.

جول : أنت تعرف قواعد الديانة المسيحية؟

جورج : نحن نعرف كل شيء. هيا يا جول، لقد سمعت ما قاله الوزيـــر: إذا لم أكن نيكراســـوف، فلن تكون أنت بعد اليوم بالوتان، نابليون الصحافة. هل أنت بالوتان؟

جول : نعم.

جورج : أتريد أن تظل كذلك؟

جول : نعم

جورج : إذن فأنا نيكراسوف.

سيبيلو : إنه يكذب ياســـيدي الرئيس، إنـــه يكذب! (يعود إلى رشده)

جول : (يلقي بنفســـه عليه) أيها الأبله، العاجز، المغفل، وما دخلك أنت؟ هذا الرجل نيكراســـوف، وقد أثبت لي

ذلك الآن.

سيبيلو : أثبت لك ذلك؟

جول : بما لا يقبل الشك!

سيبيلو : ولكني أقسم لك..

جول : اخرج من هنا! حالا!

جورج : اذهب يا عزيزي الطيب سيبيلو، وانتظرني في الخارج. (يدفعانه).

سيبيلو : (وهو في طريقه إلى الخارج) أنا لست مسؤولا عن شيء! إني أغسل يديَّ من كل الموضوع! (يغلق الباب من دونه)

المشهد الثالث

جورج وجول.

جورج : إلى العمل!

جول : أنت تعرف كل شيء، أليس كذلك؟

جورج : عن ماذا؟

جول : عن الاتحاد السوفييتي؟

جورج : بالتأكيد!

جول : وهو.. مرعب؟

جورج : (في فراسة) آه!

جول : أو تستطيع أن تقول لي..

جورج : لا شـــيء. اســـتدع مجلـــس إدارتـــك فلي شـــروط أفرضها.

جول : تستطيع باطمئنان أن تقول لي..

جورج : قلت لك لا شيء. ناد المجلس.

جول : (يتناول التليفون) ألو. يا عزيزي الرئيس، لقد وصلت المفاجأة. إني في انتظارك. نعم. نعم. نعم. طبعا نعم أنت ترى أني أفي دائما بوعودي. (يعيد الســـماعة) إنه مهتاج، ذلك العجوز القذر!

جورج : لماذا؟

جول : كان أمله قويا أن ينال مني!

جورج : ما اسمه؟

جول : موتون.

جورج : سأحتفظ باسمه في ذاكرتي. (فترة)

جول : ومع ذلك فقد كان بودي، ونحن ننتظرهم، أن...

جورج : تريد عينة مما أعرف. حســـن. أنا أستطيع أن أزيح الســـتار عن تفصيلات الخطة «ج» الشهيرة لاحتلال فرنسا في حالة نشوب حرب عالمية.

جول : هناك خطة «ج» لاحتلال فرنسا؟

جورج : لقد تحدثت عنها في جريدتك في العام الماضي.

جول : أحق؟ آه! نعم. ولكني.. كنت أرجو تأكيدا..

جورج : ألم تكتب، في تلك الفترة، أن الخطة «ج» تحوي قائمة

بأسماء من سيلقون حتفهم رميا بالرصاص؟ حسن! كان معك حق.

جول : أسيعدمون فرنسيين؟

جورج : مائة ألف.

جول : مائة ألف!

جورج : ألم تكتب ذلك، نعم أم لا؟

جول : تعرف، المرء يكتب ذلك مـن دون أن يفكر فيه. وهل معك القائمة؟

جورج : لقد حفظت، عن ظهر قلب، العشرين ألف اسم الأولى.

جول : أعطني بعضها. من الذي سيعدم؟ هيريو؟ Herriot

جورج : طبعا.

جول : هو الذي كان دائما لطيفا معك - أقصد معهم! هذا يسليني كثيرا. ومن أيضا؟ كل الوزراء فيما أظن.

جورج : وكل الوزراء السابقين.

جول : أي نائب من كل أربعة.

جورج : معـذرة! نائب من كل أربعة سـيعدم رميا بالرصاص كوزير سـابق. ولكن الثلاثة الآخرين يمكن إعدامهم لأسباب أخرى.

جول : فهمـت: كل مجلس النواب سـيلقى حتفـه، ماعدا الشيوعيين.

جورج : ماعدا الشيوعيين؟ لماذا؟

جول : آه! لأن الشيوعيين أيضا...

جورج : صه!

جول : ولكن..

جورج : لم يصلب عودك بعد بما فيه الكفاية، لكي تتحمل الحقيقة! سأكشف عن أوراقي قليلا قليلا..

جول : أتعرف بيردريير؟

جورج : بيردريير.

جول : نود أن يكون اسمه في القائمة.

جورج : أحقا! لماذا؟

جول : هكذا! لكي نجعله يتفكر. وإن لم يكن اسمه في القائمة، فيا لها من خسارة!

جورج : ذلك أني أعرف اثنين بهذا الاسم. أحدهما يدعى رينيه..

جول : ليس هو..

جورج : أفضل: لأنه ليس في القائمة.

جول : صاحبنا اسمه هنري. وهو راديكالي اشتراكي.

جورج : هنري! هو ذا. أنا لا أعرف غيره. نائبا؟

جول : كلا. كان نائبا، ولكنه لم يعد كذلك. وهو مرشح في الانتخابات المحلية في دائرة «سين ـ مارن» - Seine - et - Marne

جورج : إنه هو. أنت تدرك جيدا أنهم لن يترفقوا به. بل إن اسمه من بين أوائل الأسماء الواردة في القائمة.

جول : إنك تسعدني بقولك هذا. وفي الصحافة! من؟

جورج : كثير من الناس.

جول : ولكن، مثلا، من؟

جورج : أنت!

جول : أنا؟ (يهرع إلى التليفون) بيريجور! مانشيت على ستة أعمدة: «نيكراسوف في باريس، مديرنا في القائمة السوداء»، هذا شيء مسل، هيه؟ نعم، مسل جدا! (يعيد السماعة فجأة) أنا؟ أنا أعدم رميا بالرصاص! هذا.. هذا غير مقبول.

جورج : أوه!

جول : ولكني جريدة حكومية، كما ترى! ستكون هناك بالطبع حكومة حينما يحتل السوفييت باريس!

جورج : من دون شك.

جول : وعليه إذن؟

جورج : سيحتفظون بـ «سوار آباري»، ولكنهم سيصفون الموظفين.

جول : رميا بالرصاص! والمضحك في الموضوع حقا أن ذلك لا يسيؤني تماما. هذا يعطيني قيمة ووزنا. إني أكبر. (يقف أمام المرآة) رميا بالرصاص! رميا بالرصاص! هذا الرجل. (يشير إلى نفسه في المرآة) سيعدم رميا بالرصاص. هيه! إني أرى نفسي بعيون أخرى. أو تعرف بماذا يذكرني هذا: اليوم الذي تسلمت فيه قلادة الشرف (ملتفتا إلى جورج) ومجلس الإدارة؟

جورج : لا عليك إلا أن تسمي لي الأعضاء وسأقول لك المصير الذي ينتظرهم.

جول : ها هم! (يدخل أعضاء مجلس الإدارة)

المشهد الرابع

جول وجورج وموتون ونيرسيا وليرمينييه وشاريفيه وبيرجيرا.

موتون : يا عزيزي بالوتان..

جول : أيها السادة، ها هي مفاجآتي!

الجميع : نيكراسوف!

جول : نيكراسوف، نعم، نيكراسوف الذي أمدني ببراهين لا تقبل الشك تثبت شخصيته، والذي يتكلم الفرنسية والذي يستعد لكي يذيع على العالم كله أسرارا وحقائق مذهلة. إنه يعلم عن ظهر قلب، فيما يعلم، أسماء عشرين ألف شخص تستعد القيادة السوفييتية لإعدامهم رميا بالرصاص حينما تحتل الفرق الروسية فرنسا.

المجلس : (همهمات) أسماء! أسماء! هل نحن من بينهم؟ هل أنا من بينهم؟

جورج : أحب أن أعرف أولئك السادة بأسمائهم.

جول : طبعا. (مشيرا إلى أقرب الأعضاء إليه) السيد ليرمينييه.

ليرمينييه: : تشرفنا.

جورج : إعدام.

جول : السيد شاريفيه.

شاريفيه : تشرفنا.

جورج : إعدام.

جول : السيد نيرسيا.

نيرسيا	:	تشرفنا.
جورج	:	إعدام.
نيرسيا	:	سيدي هذا يشرفني.
جول	:	السيد بيرجيرا.
بيرجيرا	:	تشرفنا.
جورج	:	إعدام.
بيرجيرا	:	هاك ما يثبت ياسيدي أني فرنسي مخلص.
جول	:	وها هو رئيسنا، السيد موتون.
جورج	:	موتون؟
جول	:	موتون.
جورج	:	آه.
موتون	:	(مقتربا) تشرفنا.
جورج	:	تشرفنا.
موتون	:	ماذا؟
جورج	:	أقول. تشرفنا
موتون	:	(ضاحكا) هل هي هفوة؟
جورج	:	كلا.
موتون	:	تريد أن تقول: إعدام.
جورج	:	أريد أن أقول ما أقول.
موتون	:	موتون: يا إلهي! موتون.
جول	:	«م» مثل «ماري» و «إ» مثل إكتانيوس...

جورج : لا فائدة. السيد موتون ليس في القائمة.

موتون : لعلك نسيتني.

جورج : أنا لا أنسى شيئا.

موتون : ولماذا، من فضلك، لا يتكرمون بإعدامي؟

جورج : أجهل ذلك.

موتون : أوه! كلا ليس الأمر بهذه السهولة. أنا لا أعرفك وأنت تريد أن تلطخ سمعتي، وترفض تفسيرا لذلك؟ إني أحتم عليك أن...

جورج : القائمة السوداء الخاصة بالصحافة قدمت إلينا من وزير الاستعلامات من دون تعليقات.

نيرسيا : يا عزيزي موتون...

موتون : إنها مزحة أيها السادة، مزحة بسيطة.

جورج : الوزير السوفييتي لا يمزح أبدا.

موتون : هذا أمر غاية في السخف! أيها الأصدقاء، قولوا للسيد نيكراسوف إن أحوال خدمتي تجعل مني الضحية البينة للحكومة السوفييتية، فأنا جندي قديم في حرب ١٤، نلت نيشان الحرب، وأرأس أربعة مجالس إدارة، وأنا... (يتوقف عن الكلام) النهاية، قولوا شيئا! (صمت محرج) بالوتان، أتنوي نشر هذه القائمة؟

جول : سأفعل ما تقررونه أيها السادة.

بيرجيرا : طبعا لا بد من نشرها.

موتون : حسنا! رجائي أن تضعوا فيها اسمي. الجمهور لن

ينسي ذلك. ستتلقون احتياجات!

(جورج يتناول قبعته ويهم بالخروج)

جول : إلى أين أنت ذاهب؟

جورج : إلى فرانس - سوار.

نيرسيا : إلى فرانس - سوار؟ ولكن...

جورج : أنا لا أكذب أبدا، وهذا سر قوتي. تنشرون تصريحاتي من دون تحريف أو أتوجه إلى غيركم.

موتون : لتذهب إلى الشيطان! سنستغني عنك.

نيرسيا : أنت مجنون يا عزيزي!

شاريفيه : مجنون تماما!

بيرجيرا : (لجورج) أرجو أن تسامحنا ياسيدي العزيز.

ليرمينييه : إن رئيسنا عصبي المزاج جدا.

شاريفيه : وانفعاله له ما يبرره.

نيرسيا : ولكننا نروم الحقيقة.

بيرجيرا : كل الحقيقة.

ليرمينييه : ولا شيء غير الحقيقة.

جول : وسننشر كل ما يريد.

موتون : أقول لكم إن هذا الرجل دجال. (همهمة استهجان)

جورج : لوكنت في مكانك ياسيدي لما تحدثت عن الرجل، لأنه على كل حال ليس أنا بل أنت الذي أبعد عن القائمة السوداء.

موتون : (إلى أعضاء المجلس) أتتركون رئيسكم يهان؟ (صمت) إن قلب الرجل حفرة مملوءة بالقاذورات والأوساخ. إنكم تعرفونني منذ عشرين عاما، ولكن ماذا يهم؟ كانت تكفي كلمة ينطق بها مجهول وترتابون فيّ... فيّ أنا، صديقكم!

شاريفيه : ياعزيزي موتون...

موتون : إلى الوراء! لقد تأسدت أرواحكم بشهوة الربح! إنكم تقصدون أن تبهروا البوابين بكشف الستار عن حوادث مثيرة لا أساس لها من الصحة، وتأملون مضاعفة البيع، وتضحون بعشرين عاما من الصداقة من أجل عجل من الذهب. حسن! اكشفوا أيها السادة، اكشفوا عن الأسرار المثيرة! إني أترككم وسأذهب للبحث عن دليل يثبت أن هذا الرجل كذاب ومزور ومحتال. ولتدعوا الله أن أجد هذا الدليل قبل أن يضحك العالم بأسره من جنونكم.. إلى اللقاء، وحينما نلتقي من جديد سيلقي على رؤوسكم الرماد، وستضربون صدوركم طالبين مغفرتي. (يخرج)

المشهد الخامس

السابقون، ماعدا موتون والسكرتيرة.

نيرسيا : يا للعجب!

شاريفيه : أهذا ما كان ينقصنا!

ليرمينييه : إنه أمر عجاب، عجاب، عجاب.

بيرجيرا : ما هذا الذي ألمَّ بنا وأصابنا؟

جورج : سترون من ذلك الكثير.

نيرسيا : نحن لا نطلب إلا أن نرى.

بيرجير : تكلم، تكلم بسرعة!

جورج : لحظة أيها السادة! لدي تفسيرات أقدمها لكم وشروط أمليها عليكم.

ليرمينييه : نحن نصغي لك.

جورج : لكي نتجنب سوء الفهم، سيهمني أولا أن أبين بدقة أني أحتقركم.

نيرسيا : طبعا، هذا أمر مفهوم لا يحتاج إيضاحا.

بيرجيرا : ولو كان غير ذلك لأسأنا الفهم.

جورج : إنكم تمثلون في نظري خدم الرأسمالية الحُقراء.

شاريفيه : برافو..

جورج : لقد تركت وطني حينما أدركت أن سادة الكرملين يخونون مبدأ الثورة، ولكن لا تسيؤوا فهم ذلك. إني باق شيوعيا لا يتحول عن مبدئه.

ليرمينييه : وهذا يشرفك.

نيرسيا : ونحن راضون عن صراحتك.

جورج : أنا لا أجهل أني أطيل في عمر المجتمع البرجوازي قرنا من الزمان بإعطائي إياكم وسائل قلب نظام الحكم السوفييتي.

الجميع : برافوا!! حسنا جدا! حسنا جدا!

جورج : وأنا مستسلم لذلك على مضض، لأن غايتي الرئيسية هي تنقية الحركة الثورية وتطهيرها. لتمت إذا وجب ذلك، بعد مائة عام ستبعث من رمادها، وحينئذ سنعاود سيرنا إلى الأمام. وفي هذه المرة أحب أن أقول لكم إننا سنكسب المعركة.

نيرسيا : بعد مائة عام، هو ذاك!

شاريفيه : في مائه عام، الطوفان!

نيرسيا : أنا عن نفسي، قلت دائما إننا نسير نحو الاشتراكية. كل ما في الأمر هو أن نصل إلى ذلك في هدوء وسكينة.

بيرجيرا : ومن الآن وحتى يحدث ذلك ليكن همنا الوحيد هو تحطيم الاتحاد السوفييتي!

شاريفيه : لنحطم الاتحاد السوفييتي، برافو!

ليرمينييه : لنحطم الاتحاد السوفييتي، لنحطم الاتحاد السوفييتي، لنسحق الحزب الشيوعي الفرنسي! (تحمل السكرتيرة أكواب الشراب على صينية)

نيرسيا : (يرفع كوبا) نخب عدونا العزيز!

جورج : نخبكم! (يشربون الأنخاب) هاك شروطي. لنفسي لا أريد شيئا.

ليرمينييه : لا شيء!؟

جورج : لا شيء، جناح في فندق جورج الخامس، اثنان من الحرس الأقوياء، ملابس محترمة، ونقود للصرف.

نيرسيا : موافقون.

جورج : سأملي ذكرياتي، وسأكشف عنه لصحافي ممارس.

جورج : أتريد كارتييه؟

جورج : أريد سيبيلو.

جول : عظيم.

جورج : إني أنتظر أن ترفعوا أجره. كم يأخذ؟

جول : إيه.. سبعين ألف ورقة في الشهر.

جورج : إنك تميته جوعا. سترفع أجره ثلاثة أضعاف.

جول : أعدك بذلك.

جورج : إلى العمل.

جول : والشيوعيون السبعة؟

جورج : أي شيوعيين؟

جول : أولئك المسلحين في مكاتبي.

جورج : آه!... آه! نعم.

نيرسيا : هناك شيوعيون في سوار آباري؟

جول : (لجورج) سبعة! أليس كذلك؟

جورج : نعم، نعم، نعم. إنه الرقم الذي أعطيتك إياه.

نيرسيا : غير معقول! وكيف تسربوا...

جورج : (ضاحكا) ها! ها! ها! إنك ساذج!

ليرمينييه : مسلحون! بأي سلاح؟

جورج : الترسانة العادية، قنابل يدوية ومسدسات. ولا بد أن هناك بضعة رشاشات في أماكن خفية.

نيرسيا : هذا خطير جدا.

جورج	:	كلا: ليس الآن. لنعد إلى موضوعنا.
بيرجيرا	:	ولكن هذا هو موضوعنا.
نيرسيا	:	ولتسمح بأن أقول لك إن مهمتك الأولى يجب أن تكون منع ذبح مجلس الإدارة.
جورج	:	إنهم لا يفكرون في ذبحكم.
نيرسيا	:	إذن فلماذا هذا السلاح؟
جورج	:	صه!
نيرسيا	:	(مندهشا) صه؟
جورج	:	ستعلمون كل شيء في حينه.
جول	:	على كل حال لا بد من تطهير الجريدة. ولسوف يعطينا السيد نيكراسوف هذه الأسماء السبعة.
ليرمينييه	:	(ضاحكا) أظن جيدا أنه سوف يعطينا إياها، بل وسيسعده ذلك.
بيرجيرا	:	الأوغاد، الأوغاد، الأوغاد...
ليرمينييه	:	سوف تطردهم خارج الدار، هذا الصباح نفسه.
جول	:	وإذا أطلقوا النيران؟
بيرجيرا	:	أبلغ الشرطة واطلب عربة من المفتشين.
نيرسيا	:	وعند أقل حركة، السجن.
شاريفيه	:	أنت تعلم جيدا أنهم لن يجرؤوا على عمل شيء.
ليرمينييه	:	على أي حال، أن نعطي وزارة الداخلية عناوينهم.. هذا أمر لا يجوز إغفاله.
نيرسيا	:	سأفكر في ذلك، بالوتان، ستتصل تليفونيا بكل الجرائد المسائية والصباحية لكي تبلغها القائمة،

أولئك الشطار لا بد أن يُشطبوا من المهنة.

ليرمينييه : فليختفوا!

شاريفيه : فليموتوا جوعا هؤلاء القراصنة!

بيرجيرا : للأسف أن حزبهم سوف يطعمهم.

شاريفيه : حزبهم؟ سيسقطهم من حسابه حالما يعرف أنهم كُشفوا.

نيرسيا : ألا تخشى أن يلقوا قنابل الانتقام؟

شاريفيه : سنجعل إدارة الأمن العام تحرس المبنى.

ليرمينييه : بالقوات المسلحة إذا لزم الأمر.

شاريفيه : خلال ستة شهور!

ليرمينييه : خلال سنة! خلال سنتين!

بيرجيرا : آه! أولئك السادة يريدون العراك، حسنا! أتعهد لكم بأن نحقق لهم ما يريدون.

نيرسيا : (ملتفتا إلى جورج) نحن نصغي إليك يا سيدي العزيز.

جورج : إني.. إني أخشى ألا أهتدي إلى جميع الأسماء.

جول : (للسكرتيرة) فيفي! هات قائمة الموظفين. (فيفي تحضر القائمة. يتناولها. لجورج) هذا ما سوف يذكرك. ما عليك إلا أن تؤشر بقلمك.

(يضع القائمة على مكتبه، ويشير إلى جورج بالجلوس. يجلس جورج إلى المكتب. صمت طويل)

بيرجيرا : وبعد؟

جورج : (على الرغم منه) أنا لست مرشدا.

ليرمينييه : (في دهشة) ماذا؟

جورج : (وقد وقع في ورطة) أريد أن أقول...

بيرجيرا : (في تشكك) أترفض إعطاء الأسماء؟

جورج : (وقد تمالك نفسه) أنا!؟ ستأخذون أسماء بالآلاف. ولكنكم أطفال، لكي تكشفوا القناع عن بضعة أعداء، سوف تعطون إشارة الخطر لكل الآخرين. إن الموقف أشد خطورة مما تتصورون. ولتعلموا أنهم خدعوا جريدة «لوموند»، وأنكم عشتم في الخطأ، وأنه لو لم يلق بي القدر في طريقكم لكنتم قدمتم وأنتم تجهلون كل شيء.

بيرجيرا : نجهل ماذا؟

جورج : آه! كيف أشرح لكم ذلك؟ إن نفوسكم ليست مهيأة لتقبل الحقيقة، ولا أستطيع أن أكشف لكم عن كل شيء دفعة واحدة. (فجأة) الأحرى بكم أن تتأملوا هذه الحقيبة. (يتناول الحقيبة ويضعها على مكتب جول) بماذا تمتاز هذه الحقيبة؟

جول : لا شيء.

جورج : معذرة.. إن لها هذه الصفة الخاصة، ألا وهي أنها تشبه كل الحقائب الأخرى.

نيرسيا : يستطيع المرء أن يقسم أنها صنعت في فرنسا.

جورج : لم تصنع في فرنسا. ولكنك تستطيع الحصول على شبهتها من نجار ساحة المدينة بمبلغ ثلاثين فرنكا ونصف.

ليرمينييه : أوه (مأخوذا)

بيرجيرا : هذا كثير جدا.

جورج : هل هذا الشـــيء البسيط البارد الذي لا يتصف بأي صفة معينـــة رهيب إلى هذا الحد؟ يبـــدو عليه أنه عادي جدا لدرجة تثير الشبهة، وعلى رغم أنه يفلت من التفتيش والبطاقات البيانيـــة لتفاهته فإن مرآه يملأ القلب رعبا من فوره، ولكن لا يلبث المرء أن ينسى شـــكله وحتى لونه. (فترة) أو تعلمـــون ماذا يضعون فيه؟؟ سبعة كيلوجرامات من مسحوق الإشعاع. وفي كل مدينـــة من مدنكـــم الكبرى يقيم شـــيوعي ومعه حقيبة مشـــابهة تماما لتلك الحقيبـــة. أحيانا يكون مديـــر إدارة أملاك، مفتش ضرائب، ومدرس رقص ورشاقة، وأحيانا أخرى تكون عانسا عجوزا تعيش مع القطط والطيـــور. وتبقى الحقيبة في مخزن الغلال تحت حقائب أخرى ووســـط صناديق كبيرة ومدافئ قديمة وهياكل من الخيزران. من إذن يخطر بباله أن يذهـــب للبحث عنها في ذلك المكان؟ ولكن، في اليوم الموعود، ستوزع الرســـالة الشفرية نفسها في جميع مدن فرنسا، وستفتح كل الحقائب دفعة واحدة. إنكم تخمنون النتيجة مائة ألف ميت يوما.

الجميع : (في رعب) ها!

جورج : الأحرى بكم أن تشـــاهدوا بأنفســـكم. (يذهب ليفتح الحقيبة)

بيرجيرا : (صارخا) لا تفتحها!

جورج : لا تخـــف: إنها فارغة! (يفتحها) اقتربوا، انظروا إلى البطاقة، لاحظـــوا الأحزمة، وتحســـسوا المزلاقين. (أعضاء المجلس يقتربون الواحد إثر الآخر، ويلمسون

الحقيبة في تردد وخوف)

بيرجيرا : (يلمسها) هذا حق! مع ذلك فهذا حق!

ليرمينييه : (الحركة نفسها) يا له من كابوس!

شاريفيه : السفلة!

نيرسيا : السفلة، السفلة، السفلة!

بيرجيرا : آه! كم أحقد عليهم.

ليرمينييه : على أي حال نحن لا ندع أنفسنا نموت كالفئران، فما العمل؟

جورج : بناء أجهزة كاشفة، لايزال أمامنا بضعة شهور (فترة) هل فهمتموني؟ هل اقتنعتم بأن المهمة سوف تكون شاقة، وأننا نعرض كل شيء للخطر، إذ نحن عاقبنا مرؤوسين لا أهمية لهم؟

شاريفيه : أعطنا أسماءهم على رغم ذلك.

ليرمينييه : ونعدك بأننا لن نزعجهم.

بيرجيرا : لكننا نريد أن نعرف غريمنا.

نيرسيا : ونواجه الخطر وجها لوجه.

جورج : حسن! ليكن. ولكنكم ستتبعون تعليماتي تماما. لقد وجدت الآن الوسيلة لإبعاد خطرهم.

بيرجيرا : أي وسيلة؟

جورج : ارفعوا أجورهم. (همهمة) انشروا في كل مكان أنكم سعداء بخدمتهم وإنكم ستمنحونهم زيادة كبيرة.

بيرجيرا : أتعتقد أننا نستطيع إفسادهم؟

جورج	:	إن كان علـــى ذلك فــكلا. ولكنكم ســتفقدونهم ثقة رؤســـائهم. فهذه الخطوة الغامضة ســتجعل الناس يعتقدون أنهم خانوا.
ليرمينييه	:	أنت متأكد من ذلك؟
جورج	:	هذا عـــين اليقين. وهكذا لن يكون عليكم أن تكترثوا لهم بعــد ذلك، فإن يد موســكو هي التي ســتتولى تصفيتهم. (يذهب إلى المكتب، ويجلس، ويؤشر على سبعة أسماء على القائمة)
نيرسيا	:	كلا! كلا، كلا، كلا ثــم كلا! لا أريــد أن ترفــع أجور هؤلاء السفلة!
ليرمينييه	:	ليس هكذا يا نيرسيا!
بيرجيرا	:	طالما قيل لك إن ذلك بهدف التخلص منهم.
شاريفيه	:	نحن نقبلهم لكي نخنقهم.
نيرسيا	:	حســن! افعلــوا مــا شــئتم! (ينهض جــورج ويقدم القائمة)
جول	:	(يقرأ) ساميفيل؟ هذا غير ممكن!
بيرجيرا	:	مدام كستانييه، من كان يعتقد ذلك؟
جورج	:	(ويقاطعهم بإشارة منه) هذا لا شيء. سأرفع الحجب الواحد تلو الآخر، وسوف ترون العالم كما هو. وحينما ترتاب في ابنك، في زوجتك، في أبيك، حينما تذهب وتنظر إلى نفسك في المرآة وأنت تتساءل إن لم تكن شيوعيا على غير علم منك، ستبدأ في الاقتراب من رؤيــة الحقيقة. (يجلس علــى مكتب جول ويدعوهم إلى الجلوس) تفضلوا بالجلوس أيها السادة، ولنعمل: ليس لدينا متسع من الوقت إن أردنا إنقاذ فرنسا.

(ستار)

المنظر الخامس

الديكــور: جناح في فندق جــورج الخامس، في الصالــون. النوافذ مغلقة، والســتائر مسدلة. ثلاثة أبواب: واحد إلى اليســار يفتح على حجرة النوم، والثاني في المؤخــرة يفتح على الحمام، والثالث إلى اليمين يفتح على غرفة الانتظــار. باقات ضخمة من الزهور، وعلى الخصوص ورد أحمر، مكدســة إلى جوار الحائط.

المشهد الأول

يدخل خادم صغير يحمل باقة ورد، ويتبعه حارســان شــديدان يصوبان مسدســاتهما إلى ظهره. يضع الصبي باقة الــورد ويخرج متقهقرا من باب اليمين رافعــا يديه إلى أعلى، يُفتح باب اليســار ويظهر جورج مرتديا رداءً منزليا، وهو يتثاءب.

المشهد الثاني

جورج والحارسان.

جورج : ما هذا؟

الحارس الأول : زهور.

جورج : (يقترب من الزهور وهــو يتثاءب) مزيد من الزهور! افتحا النافذة.

الحارس الأول : كلا.

جورج : كلا!

الحارس الأول : خطر.

جورج : ألا تشم إذن أن لهذا الورد رائحة كريهة؟

الحارس الأول : مطلقا.

جورج : عندك حظ. (يتناول الظرف ويفتحه) «مع الإعجاب الشديد، مجموعة من السيدات الفرنسيات» إنهن معجبات بي، هيه؟

الحارس الأول : نعم.

جورج : ويحببنني؟

الحارس الأول : نعم.

جورج : قليلا، كثيرا. بشغف.

الحارس الأول : بشغف.

جورج : لكي يحب المرء في عنف إلى هذا الحد، لابد أن يحقد في شدة.

الحارس : يحقد على من؟

جورج : على الآخرين (ينحني على الزهور) لنستنشق عبير الحقد (يستنشق) إنه قوي ومبهم. (مشيرا إلى الزهور) هذا هو الخطر! (يخرج الحارسان مسدسيهما ويصوبان على الزهور) لا تطلقا: إنه الأفعوان ذو الألف رأس. ألف رأس صغير أحمر من الحنق، تصيح حتى يَبَحَّ صوتها وتطلق عبيرها كالصرخة قبل أن تموت. هذا الورد يفوح بالسم.

الحارث الثاني	:	سم؟
الحارس الأول	:	(لزميله) معمل السميات، تلفون جوتنبرج Gutenberg ٦٦ ـ ٢١. (يتوجه الآخر إلى التليفون)
جورج	:	فات الأوان: كل شيء هنا مسموم، مادمتُ أعمل في جو من الحقد.
الحارس الأول	:	الحقد؟
جورج	:	آه! إنه هواء كريه الرائحة! ولكن، إذا أردت أن تتخلص منها فلا بد أن تتناولها من مصدرها حيث هي، حتى لــو كانت في القذى. (فــي روث البهائم). واليوم هو يوم مجدي ويحيا الحقد، مادمت مدينا له بسطوتي. لا تنظر إليَّ بهذه العين. أنا شــاعر. هل أنت مكلف بفهمي أم بحمايتي؟
الحارس الأول	:	بحمايتك.
جورج	:	حسن! احمني، احمني. كم الساعة الآن؟
الحارس الأول	:	(نظرة خاطفة إلى ساعة يده) الخامسة والنصف.
جورج	:	وما حال الجو؟
الحارس الثاني	:	(يذهــب لرؤيــة بارومتر إلى جــوار الحائط) جميل معتدل.
جورج	:	درجة الحرارة؟
الحارس الأول	:	(يذهب لرؤية ترمومتر معلق على الحائط) عشــرون درجة.
جورج	:	يا لعصاري الربيع الجميلة! ســماء صافية وشــمس تلهــب زجاج النوافذ، جمــوع هادئة في ثياب فاتحة تصعد وتهبــط الشــانزليزيه، وضــوء الليل يلطف الوجوه. حســن! إني راض بمعرفة ذلــك. (يتثاءب)

جدول الأعمال.

الحارس الأول : (يراجع قائمة) الخامسة وأربعون دقيقة موعدك مع سيبيلو لذكرياتك.

جورج : وبعد؟

الحارس الأول : السادسة والنصف صحافية من جريدة الفيجارو.

جورج : سوف تفتشها في دقة. المرء لا يدري. وبعد؟

الحارس الأول : سهرة راقصة.

جورج : عند من؟

الحارس الأول : عند مدام بونومي.

جورج : أو تقيم سهرةً هذه المرأة؟

الحارس الأول : لكـي تحتفـل بانسـحاب منافسـها بيردرييـر من الانتخابات.

جورج : سـأحتفل بذلك. إنه من صنعي. اختفيا (يخرجان، فيغلق الباب ويتثاءب).

المشهد الثالث

جورج منفردا.

جورج : (يقترب من المرآة، ينظر إلى نفسـه، ويخرج لسانه) نـوم مضطرب، لسـان مثقـل، نقص في الشـهية. حفلات رسـمية كثيرة جدا - ثـم إني لم أعد أخرج إلا فيما ندر. (يتثاءب) سـحابة من الضيق: هذا أمر

طبيعـــي، فالمرء دائمـــا بمفرده في أوجه الســـطوة. ياصغار الرجال المكشوفين. إني أرى قلوبكم وأنتم لا ترون قلبي. (تليفون) ألو؟ هو نفســـه. سافل! آه! إنه أنت ياسيدي العزيز الذي تعتبرني سافلا. إنها المرة الســـابعة والثلاثون التي تتصل فيها لإخباري بذلك. أرجو أن تعتقد من الآن أني على علم تام بعواطفك. ولا داعي بعد ذلك لأن تتعب نفســـك، و... لقد وضع الســـماعة. (يســـير) ســـافل، خائن للحزب، هذا ما يقال بســـرعة. من هو السافل؟ لست أنا؟، جورج دي فاليرا الذي لم يكن شـــيوعيا قـــط، ولم يخن أحدا. ولا نيكراســـوف الذي عالج في كريميه Crimée من دون أن يفكـــر في شـــر. إذن فمحدث المجهول يتكلم ولا يقول شـــيئا. (يذهب إلى المرآة) فلأســـتعدْ صور الطفولة إذن! أوه! مركبة الجليد الخشـــبية، الجميلة الملونة. كان أبي يجلسني عليها، في المقدمة، الأجراس الصغيرة، فرقعة السوط، والجليد...

(سيبيلو دخل الحجرة منذ لحظات)

المشهد الرابع

سيبيلو وجورج.

سيبيلو : ماذا تفعل هنا؟

جورج : أستعرض مسلسلاتي؟

سيبيلو : مسلسلاتك؟

جورج	:	إني أكذب على نفسي.
سيبيلو	:	على نفسك أيضا.
جورج	:	على نفسي أولا. إني لدي ميل كبير للقحة والصلافة، وليس هناك مفر من أن أصبح أنا أول من أغرر به. سيبيلو إني أموت. إنك تفاجئني وأنا في عز سكرة الموت.
سيبيلو	:	ماذا؟
جورج	:	إني أقتل فاليرا لكي يولد نيكراسوف.
سيبيلو	:	لست نيكراسوف.
جورج	:	إني نيكراسوف من الرأس حتى القدمين، من الرشد إلى الطفولة.
سيبيلو	:	إنك محتال بائس من الرأس حتى القدمين، يجري إلى حتفه وسيجرني إلى الهلاك إذا أنا لم أحسن التصرف.
جورج	:	لا فائدة! (ينظر إليه) إنك تعد لنا، على مهل، خطة شريفة حمقاء ستضيعنا. حسن، تكلم! ماذا تريد أن تفعل؟
سيبيلو	:	نبلغ عن أنفسنا!
جورج	:	أيها الأبله، كل شيء كان يسير على خير ما يرام.
سيبيلو	:	لقد اتخذت قراري منذ قليل، وأتيت لإبلاغك الأمر قبل وقوعه: غدا صباحا في الحادية عشرة سألقي بنفسي عند قدمي جول، وأعترف بكل شيء. لديك سبع عشرة ساعة لكي تدبر قرارك.

جورج	:	أنت مجنون! بيردريير ينسحب من الانتخابات، و«سوار آباري» ضاعفت طبعتها، وأنت تكسب مائتين وعشرة آلاف فرنك في الشهر، وتريد أن تبلغ عن نفسك.
سيبيلو	:	نعم.
جورج	:	فكر فيّ أيها التعس! إن لي السلطة العليا، وأنا الموجه الخفي في حلف الأطلنطي، وأمسك بالحرب والسلم في قبضتي، واكتب التاريخ. سيبيلو، أنا أكتب التاريخ وتختار أنت تلك اللحظة لتلقي تحت قدمي بقشر الموز، أتعرف أني كنت أحلم بتلك اللحظة طوال حياتي، لتستفيد إذن من سطوتي، ستكون لي بمنزلة فاوست، أتريد المال؟ الجمال؟ الشباب؟
سيبيلو	:	(يهز كتفيه) الشباب...
جورج	:	ولمَ لا؟ إنها مسألة نقود. (سيبيلو يتحرك نحو الخارج) إلى أين أنت ذاهب؟
سيبيلو	:	أبلغ عن نفسي.
جورج	:	ستبلغ عن نفسك، لا تخف، ستبلغ عن نفسك. ولكن لا شيء يدعو إلى العجلة. لدينا وقت للكلام. (يعيد سيبيلو إلى وسط الحجرة) إنك ميت من الخوف ياصديقي. ماذا حدث؟
سيبيلو	:	إن موتون سوف يقبض عليك، وبالتالي عليَّ أنا. لقد ضم إليه ديميدوف Demidoff، وهو كرافشنكو حقيقي هذا المخلوق، اعترفت به وكالة تاس، وهو يبحث عنك. وإذا وجدوك - وسوف يجدونك حتما - سيفضح ديميدوف احتيالك، وسنضيع.

جورج : لا شـــيء غير هذا؟ ليأتوا إليَّ بديميدوف، وسأتولى أنا أمره. إني ممســـك بهم جميعـــا، رجال الصناعة، وأصحـــاب البنـــوك. قضـــاة ووزراء، مســـتعمرين أمريـــكان، ولاجئين ســـوفييت، وأجعلهـــم يرقصون. أهذا كل شيء؟

سيبيلو : أوه! كلا. ما هو أشد نكرا.

جورج : مرحى. سألهو.

سيبيلو : هناك أن «نيكراسوف» أذاع تصريحا في الراديو.

جورج : أنا؟ أقسم لك أنني لم أصرح بشيء.

سيبيلو : المسألة لا تتعلق بك: لقد قلت «نيكراسوف».

جورج : «نيكراسوف» هو أنا.

سيبيلو : إني أتحدث عن «نيكراسوف» كريميه.

جورج : وما دخلك أنت في ذلك؟ إنك فرنسي ياسيبيلو، تكلم عما يدور أمام بابك، ولا تشـــغل نفسك بما يدور في كريميه.

سيبيلو : إنه يدعي أنه قد شفي وأنه سيعود إلى موسكو قرب نهاية هذا الأسبوع.

جورج : وبعد؟

سيبيلو : وبعد! لقد ضعنا!

جورج : ضعنا؟ لأن بلشفيا أذاع مهاترات في الميكروفون! أنت ياســـيبيلو، أنت بطل الدعاية المعادية للشيوعية. تثق بأولئك الناس؟ إنك تخيِّب ظني فيك.

سيبيلو : ســـيخيب ظنك أقل من ذلك يوم الجمعة حينما يرى

كل السفراء والصحافيين الأجانب المدعوين إلى أوبرا موسكو «نيكراسوف» شخصيا في «لوج» الحكومة.

جورج : آه! لأن يوم الجمعة...

سيبيلو : نعم!

جورج : هل أعلن ذلك؟

سيبيلو : نعم!

جورج : حسن! سيرون شبيهي. لأن لي شبيها هناك، كبقية الوزراء. نحن نخاف الاغتيالات بشدة، لذلك يمثلنا آخرون يشبهوننا في الحفلات الرسمية. إليك هذه الفكرة، لتكتب هذا إذن لينشر غدا. انتظر: لا بد من إضافة مسحة الحقيقة المسلية، إن مخترع الأقصوصة التي لا يخترعها الناس. ها هي ذي: كان بديلي يشبهني إلى حد كان يصعب معه على المرء أن يفرق بيننا على بعد عشر خطوات. وللأسف الشديد حينما أتوا به إليَّ تبينت أن إحدى عينيه كانت من الزجاج. تصور حيرتي وارتباكي! وقد تحتم عليَّ أن أذيع على الملأ أن مرضا لا شفاء منه قد أتى على عيني اليمنى. ذلك هو أصل هذه العُصابة. ستجعل العنوان «نيكراسوف يضع عُصابة على عينيه لأن شبيهه كان أعور». هل أخذت مذكرة بذلك؟

سيبيلو : وما الفائدة؟

جورج : (بسطوة) اكتب. (سيبيلو يهز كتفيه، يخرج قلمه ويكتب بعض الملحوظات) وستختتم مقالك بهذا التحدي: حينما يدخل المدعي «نيكراسوف» في الحكومة، فليرفع العصابة إلى عينه إذا تجرأ.

وســـأرفع عصابتي أنا الآخر في الساعة نفسها أمام أطباء عيون، وســـيرون جميعا أن لي عينين في حالة طيبـــة. أما الآخر، فإذا لـــم يكن له غير عين واحدة، فســـيكون عندنا الدليل القاطع على أن هذا الرجل ليس أنا. هل تكتب؟

سيبيلو : أكتب، ولكن هذا لن يجدي.

جورج : لماذا؟

سيبيلو : لأنني أريد أن أبلغ عن نفســـي! إني شـــريف، أتفهم، شريف، شريف! شريف!

جورج : ومن قال لك عكس ذلك؟

سيبيلو : أنا.. أنا.. أنا..

جورج : أنت؟

سيبيلو : أنا الذي أردد على مســـامعي كل يـــوم مائة مرة أني رجل غير شريف! إني أكذب يا جورج، إني أكذب كما أتنفس. أكذب على قرائي، على ابنتي، على رئيسي!

جورج : ألم تكن تكذب إذن قبل أن تعرفني؟

سيبيلو : حتى لو كنت أكذب فقد كنت أحظى بموافقة رؤسائي. كنـــت أصنع أكاذيب منظمـــة، مدفوعة، أكاذيب ذات قيمة إخبارية عظيمة، أكاذيب للمصلحة العامة.

جورج : وأكاذيبـــك الحاضرة، ألم تعد للمصلحة العامة؟ إنها الأكاذيب نفسها كما ترى؟

سيبيلو : أي نعـــم، الأكاذيب، ولكني أصنعهـــا من دون ضمان مـــن الحكومة. ليس هناك غيـــري على الأرض يعلم من أنت، وهذا ما يخيفني. ليســـت جريمتي هي أني

أكذب، ولكن أن أكذب بمفردي...

جورج : حســـن، تفضل! ماذا تنتظر؟ أسرع وأبلغ عن نفسك! (ســـيبيلو يتحرك خطوة) سؤال بسيط، سؤال واحد وأطلق سراحك. ماذا ستقول لجول؟

سيبيلو : كل شيء!

جورج : أي شيء؟

سيبيلو : أنت تعلم ذلك جيدا.

جورج : بشرفي لا أعلم.

سيبيلو : حســـن! ســـأقول له إني كذبـــت، وإنك لســـت حقا «نيكراسوف».

جورج : لا أفهم.

سيبيلو : مع ذلك الأمر واضح.

جورج : ماذا تعني «حقا»؟ (سيبيلو يرفع كتفيه) هل أنت حقا سيبيلو؟

سيبيلو : نعم، أنا ســـيبيلو، نعم أنـــا رب العائلة التعس الحظ الذي أفســـدته، أيها البائس، والذي على رغم شعره الأبيض، سيدنس سمعته.

جورج : أثبت ذلك.

سيبيلو : لدي أوراق.

جورج : وأنا أيضا.

سيبيلو : أوراقي حقيقية.

جورج : وأوراقي أيضـــا. أتريد رؤية تصريـــح الإقامة الذي أعطاني إياه قسم الشرطة؟

سيبيلو	:	لا قيمة له.
جورج	:	لماذا من فضلك؟
سيبيلو	:	لأنك لست نيكراسوف.
جورج	:	وأوراقك أنت صحيحة؟
سيبيلو	:	نعم.
جورج	:	لماذا؟
سيبيلو	:	لأني «سيبيلو».
جورج	:	أرأيت: ليست الأوراق هي التي تثبت الشخصية.
سيبيلو	:	نعم، ليست الأوراق هي التي تثبت ذلك.
جورج	:	إذن؟ أثبت لي أنك سيبيلو.
سيبيلو	:	كل الناس ستقول ذلك.
جورج	:	كل الناس. تعني كم شخصا؟
سيبيلو	:	مائة، مائتين، لست أدري، ألفا...
جورج	:	ألف شخص يعتبرونك سيبيلو، تريدني أن أصدقهم على الفور، وأنت ترفض شهادة مليونين من القراء يعتبرونني «نيكراسوف»؟
سيبيلو	:	لا يقاس هذا بذاك.
جورج	:	أتريد إسكات هذا الصوت المدوي الذي يجعل مني بطل الحرية، بطل الغرب؟ هل تفضل اعتقادك الفردي على التأييد الجماعي الذي يحمي المواطنين الطيبين؟ إنه أنت الذي لم تقم حتى دليلا قاطعا على صدق شخصيتك، إنه أنت الذي سوف تدفع بمليونين من الرجال إلى اليأس. تشجع: ولتحطم رئيسك! بل

افعل خيرا من ذلك، ولتحرض على إسقاط الوزارة. إني أعرف من الذي سيضحك مرتاحا لذلك.

سيبيلو : من إذن؟

جورج : الشيوعيون طبعا أيها الأبله! هل تعمل من أجلهم؟

سيبيلو : (قلق) أوه! جورج!

جورج : آه! لن تكون أول من يدفعون له لكي يوهنوا من عزيمة الرأي العام!

سيبيلو : أقسم لك...

جورج : كيــف تريدني أن أصدقك، وأنــت الذي اعترفت لي منذ قليل بدناءتك العميقة؟

سيبيلو : (في جنون) لا بد أن تصدقني، إني رجل شريف غير صادق مع نفسي، ولكني لست رجلا بلا شرف!

جورج : ليكــن.. ولكــن، ولكن.. هــو! هو! مــاذا جرى لك؟ ياصديقــي التعس، هل أســتطيع إخراجك من هذه الورطة؟

سيبيلو : ماذا هناك أيضا؟

جورج : كيــف أفهمك؟ آه: لتضــع جانبا أربعــين مليونا من الفرنســيين، المعاصرين لنا، على ثقة من الحياة في منتصف القرن العشرين، وفي الجانب الآخر، مخلوق واحد يعلن مكابرا وفي عناد أنه الإمبراطور شارل ـ كان ـ Charles ـ Quini. بماذا تسميه هذا الرجل؟

سيبيلو : مجنون.

جورج : وهذه بالضبط حالك، أنت الذي تدعي إنكار حقائق متفق عليها من الجميع.

سيبيلو : جورج!

جورج : أو تـدري ماذا سـيفعل بك جول حينمـا يرى أقدم موظفيه يركع على ركبتيه أمامه، ويتوسل إليه أن يئد جريدته بيديه؟

سيبيلو : سيطردني!

جورج : كلا على الإطلاق، سوف يأمر بحبسك.

سيبيلو : (مذعورا) أوه!

جورج : خذ، اقرأ هذا التلغراف، إنه من ماكراثي يعرض عليَّ العمل «شـاهدَ إثبات» دائما. وهـذه تهاني فرانكو، وتهانـي شـركة الفواكه، وكلمـة ود مـن ايدنهاور، وخطـاب بخط اليـد من الشـيخ الأمريكي بورجود Borgaud. لقد رفع ما أفشـيته من أسـرار أسعار بورصة نيويورك، وفي كل مكان ارتفاع هائل في سوق الصناعات الحربيـة، إن مصالح ضخمة في خطر، و«ونيكراسـوف» لم يعد أنا فقط: لقد أصبح اسـما «نوعيـا» للفوائد التي يحصل عليها المسـاهمون في مصانع الأسـلحة. وهذه هي الموضوعية، ياصديقي العجـوز، هذا هـو الواقع! ما الذي تسـتطيعه ضد ذلك؟ لقد دفعت الآلة إلى التحرك: هذا حق. ولكنك سـوف تُسـحق إذا ما حاولت إيقافها. إلـى اللقاء ياصديقي المسكين. كنت أحبك. (سيبيلو لا يتحرك) ماذا تنتظر؟

سيبيلو : (في صوت مختنق) أو يمكن شفائي؟

جورج : من جنونك؟

سيبيلو : نعم.

جورج : أخشى أن يكون الجو متأخرا.

سيبيلو : ولكــن لو أنك تعالجني يا جــورج، لو كنت حقا تريد معالجتي.

جورج : إيه! لســت طبيبا نفســيا (فترة) الحق أن مثل هذا الأمر يتطلب على الأحــرى تربية جديدة. هل تحب أن أربيك من جديد؟

سيبيلو : إذا سمحت!

جورج : لنبدأ، اتخذ هيئة الشرف.

سيبيلو : لا أعرف كيف اتخذها.

جورج : اســترح جيدا على هذا المقعد، وضــع قدميك على الحشية. ثم ضع هذه الوردة في عروتك، وتناول هذا السيجار. (يقدم له مرآة)

سيبيلو : (ينظر إلى نفسه) إيه!

جورج : أو تشعر بنفسك أكثر شرفا الآن؟

سيبيلو : ربما أكثر قليلا.

جورج : حسن. دع معتقداتك الشخصية جانبا، وقل لنفسك دائمــا إنها كاذبة مادام أحد لا يشــاركك فيها. فهي تعزلــك عن الناس والآن لتنضم إلى القطيع. ولتذكر أنك فرنســي طيب. انظــر إليَّ بعيون الفرنســيين العديدة التي تقرأنا، من ترى؟

سيبيلو : «نيكراسوف»!

جورج : الآن ســأخرج ثم أعود. ضع نفسك في حالة صدق. إخلاصي جماعي طبعا. وحينما أدفع الباب ستقول

لي: «بونجور نيكيتا ...» (يخرج. سيبيلو يستريح في مقعده، يشرب ويدخن. يدخل جورج)

سيبيلو : بونجور، نيكيتا.

جورج : بونجور سيبيلو.

سيبيلو : هل أحسنت القول؟

جورج : ليس سيئا للغاية. (يلف حول مقعد سيبيلو، ثم ينحني عليه فجأة ويضع يديه على عينيه) كوكو!

سيبيلو : دعني في هدوء... نيكيتا!

جورج : إنك في تقدم مستمر. انهض. (ينهض سيبيلو وظهره إلى جورج الذي يزغزغه) (يتلوى ويضحك رغما عنه) كفى إذن... ! نيكيتا!

جورج : سوف تشفى! (فترة) هذا يكفي اليوم: لنعمل! الفصل الثامن: لقاء مفجع مع ستالين. (جرس التليفون يدق)

جورج : (يرفع السماعة) آلو، نعم؟ مدام كاستانييه؟ انتظري. (لسيبيلو) إنه اسم يذكرني بشيء ما.

سيبيلو : إنها كاتبة على الآلة في «سوار آباري».

جورج : آه! واحدة من السبعة الذين كانوا يريدون طردهم، ورفعت أنا أجورهم؟ ماذا تريد مني؟

سيبيلو : لعل جول هو الذي أرسلها!

جورج : (في السماعة) لتصعد. (يضع السماعة ويعود إلى سيبيلو) لقاء مفجع مع ستالين.. وعنوان فرعي: «هربت من الكرملين في مقعد يحمله رجلان!

سيبيلو : نيكيتا! هل هذا ممكن؟

جورج : وبشكل طبيعي للغاية. طاردوني فالتجأت إلى صالة في متحف مكدسة بالعربات. وفي أحد الأركان رأيت مقعدا يحمل...

أحد الحراس : مدام كاستانييه.

جورج : دعهـا تدخـل. وعلـى الخصـوص لا تخيفوهـا بمسدساتكم.

المشهد الخامس

جورج وسيبيلو ومدام كاستانييه.

سيبيلو : (متجها نحوها) عمت صباحا مدام كاستانييه.

مدام كستانييه : صباح الخير يا سيد سيبيلو. لم أكن أظن أني ألقاك هنا. (مشيرة إلى جورج) إنه هو «نيكراسوف»؟

سيبيلو : نعم. صديقنا العزيز نيكيتا.

جورج : تحياتي يا سيدتي.

م. كاستانييه : أريد أن أعرف لماذا عملت على رفتي؟

جورج : ماذا؟

سيبيلو : رفتوكِ؟

م. كاستانييه : (لجورج) أنت تعرف ذلك جيدا ياسيدي! لا تتظاهر بالدهشة.

جورج : أقسم لك على أن...

م. كستانييه	:	لقد استدعاني السيد بالوتان منذ قليل. وكان أولئك السادة أعضاء مجلس الإدارة هناك، ولم يكن يبدو عليهم الرضا.
جورج	:	وبعد؟
م. كاستانييه	:	وبعد؟ لقد رفتوني.
جورج	:	ولكن لماذا؟ لأي سبب؟
م. كستانييه	:	حينما أردت أن أعرف السبب، خيل إلي أنهم سينقضون عليّ. وصرخ جميعهم في وجهي: «اسألي نيكراسوف! نيكراسوف سيقول لك السبب!».
جورج	:	السفلة! السفلة!
م. كاستانييه	:	أنا لا أريد تكديرك، ولكن إذا كنت قدمت لهم تقارير سيئة عني فأنت أكثر منهم سفالة.
جورج	:	ولكني لم أقل شيئا! لم أفعل شيئا! أنا حتى لا أعرفك.
م. كاستانييه	:	لقد قالوا لي أن أتقدم إليك، ومعنى هذا إذن أنك تعرف شيئا.
جورج	:	النهاية ياسيدتي، هل سبق لك مرة أن رأيتني في حياتك قبل اليوم؟
م. كاستانييه	:	قط.
جورج	:	أرأيت!
م. كاستانييه	:	وماذا يثبت ذلك؟ لعلك كنت تريد وظيفتي.
جورج	:	وماذا أفعل بها؟ هذا مزاح ياسيدتي، مزاح سخيف.
م. كاستانييه	:	أنا أرملة ولي ابنة مريضة: إذا فقدت وظيفتي

فســنكون في الشــارع. ليس هناك إذن مايدعو إلى المزاح.

جورج	:	معك حق. (لسيبيلو) السفلة.
م. كاستانييه	:	ماذا عندك ضدي؟
جورج	:	لا شيء! على العكس، ويشهد سيبيلو على أنني أردت رفع أجرك.
م. كاستانييه	:	ترفع أجري؟
جورج	:	نعم.
م. كاستانييه	:	أيهــا الــكاذب! لقد كنــت تقول منذ لحظــة إنك لا تعرفني.
جورج	:	كنت أعرفك قليلا. كنت أعرف أن لك خدمات وفية كنت تقومين بها منذ أكثر من عشرين عاما...
م. كاستانييه	:	أنا أعمل في الجريدة منذ خمس سنوات.
جورج	:	سأعترف لك بكل شيء. لأسباب سياسية مهمة...
م. كاستانييه	:	السياسة، لم أتدخل فيها مطلقا. وكان زوجي المسكين لا يريد أن يسمع كلاما في السياسة. أنا لم أتعلم يا سيدي، ولكني لست بلهاء تماما، ولا يخدعني كلامك المنمق هذا.
جورج	:	(يرفع سـماعة التليفـون) أعطني «سـوار آباري». (لمدام كاستانييه) إنه خطأ بسيط غير مقصود! (في السـماعة) آلو، سـوار آباري؟ أريد أن أتحدث إلى المدير. نعم. المتكلم نيكراسـوف. (لمدام كاسـتانييه) سـيعيدون إليك عملك، وأنا كفيل بتحقيق ذلك، مع الاعتذارات الكافية.

م. كاستانييه : لست في حاجة إلى اعتذار. أريد أن تعاد إليّ وظيفتي.

جورج : آلو؟ ليس في مكتبه؟ ولكنه في الدار؟ أين؟ حسن. قل له أن يطلبني بسرعة حالما يعود. (يضع السماعة) كل شيء سيسوى. وفي انتظار ذلك أتسمحين لي... (يده في حافظة نقوده).

م. كاستانييه : لا أريد أن يتصدق عليّ أحد.

جورج : فيم تفكرين؟ لا صدقة طبعا، بل منحة من صديق...

م. كاستانييه : لستَ صديقي..

جورج : اليوم كلا، ولكنني سأكون صديقك حينما تعودين إلى عملك من جديد. سترين! (متذكرا فجأة) أوه! (فترة) والآخرون؟

م. كاستانييه : الآخرون؟

جورج : أتعرفين إن كانوا قد طردوا الآخرين؟

م. كاستانييه : قيل ذلك.

جورج : من؟ كم عددهم؟

م. كاستانييه : لا أعرف. لقد أخلوا طرفي، فحملت أشيائي وخرجت.

جورج : (لسيبيلو) سترى أنهم طردوهم! أولئك المستبدون النكديون الحشرات، كنت أظن أني قد أخفتهم، لتستفد إذن ياعزيزي سيبيلو، استفد من هذا الدرس: الخوف أقل قوة من الحقد. (يتناول قبعة) لا بد أن تتوقف هذه المهزلة. تعالي معنا ياسيدتي.

أنا أتعدى على الفقراء؟ لو حدث ذلك لكان أول مرة في حياتي. سـأقبض على زمارة رقبـة جول. (كان جورج قد فتح الباب. يبدو أحد الحراس).

الحارس : كلا.

جورج : كيف كلا؟ أريد الخروج!

الحارس : مستحيل. خطر!

جورج : حسن! سترافقنا.

الحارس : ممنوع.

جورج : وإذا أردت الخروج مع ذلك؟

الحارس : (ضحكة ساخرة قصيرة) ها!

جورج : اذهـب عني! لـن أخرج (لسـيبيلو) اذهب إلى جول مع السـيدة، وقل له إني لم أعـد أهزل. إذا لم يعد الموظفون المفصولون إلى أعمالهم خلال أربع وعشرين سـاعة فسأعطي تكملة مذكراتي لجريدة الفيجارو. تفضل. سـيدتي، قد أكون أسـأت إليكِ، ولكن ذلك كان ضد إرادتي، وأقسـم لك أنهم سيعوضونك عن ذلك. (سيبيلو ومدام كاسـتانييه يخرجان) ألا تقول إلى اللقاء يا سيبيلو؟

سيبيلو : إلى اللقاء.

جورج : إلى اللقاء يا ...؟

سيبيلو : إلى اللقاء يانيكيتا.

جورج : مادمـت ترى جـول، تلفن لي. (بمفـرده) طردوا ... (يبدأ في المسـير) آه! ليس هذا خطئي! الحقد ليس من طبيعتي، إني مضطر إلى استعمال قوى مرعبة لا

أعرفها جيدا. سأكيِّف نفسي تبعا لذلك.. سوف... طردوا.. لم يكن لديهم غير أجورهم ليعيشوا - وربما عشرون ألف فرنك كانوا قد اقتصدوها.. سوف أغرقهم ذهبا، وسينتظرهم مجلس الإدارة على الباب حاملا أكداسا من الورد.

المشهد السادس

جورج والحارس.

الحارس	:	(يدخل) صحافية من الفيجارو.
جورج	:	فلتدخل. انتظر: هل هي جميلة؟
الحارس	:	ليست دميمة. (يذهب جورج إلى المرآة، يضع العصابة السوداء على عينه ويتأمل نفسه لحظة، ثم يرفعها ويضعها في جيبه)
جورج	:	أدخلها
		(تدخل فيرونيك)

المشهد السابع

جورج وفيرونيك.

جورج	:	(يلمح فيرونيك) ها! (يرفع يديه في الهواء).
فيرونيك	:	أرى أنك قد عرفتني.

جورج : (يخفض يديه) نعم. تعملين في جريدة الفيجارو، والآن؟

فيرونيك : نعم.

جورج : كنت أحسبك شيوعية.

فيرونيك : المرء يتغير. أين «نيكراسوف»؟

جورج : لقد.. لقد خرج.

فيرونيك : سأنتظره. (تجلس) وأنت تنتظره أيضا؟

جورج : أنا؟ كلا.

فيرونيك : ماذا تفعل هنا؟

جورج : أوه! تعلمين أني لا أفعل شيئا ذا بال أبدا. (فترة. ينهض) بدأت أعتقد أن «نيكراسوف» لن يعود من سهرته. تفعلين خيرا لو عدتِ غدا.

فيرونيك : وهو كذلك. (يبدو على جورج الارتياح. تخرج فيرونيك دفترا من حقيبتها) لكن، في أثناء جلوسي معك، ستقول لي ما تعرفه عنه.

جورج : لا أعرف شيئا بالمرة.

فيرونيك : هيا إذن؟ لكي يتركك حارساه تحتل صالونه في غيبته، لا بد أن تكون من أصفيائه.

جورج : (مرتبكا) من أصفيائه؟ طبعا، هذا... هذا منطقي. (فترة) أنا ابن خالته.

فيرونيك : آه! آه!

جورج : لقد بقيت خالتي في روسيا و«نيكراسوف» هو ابنها. وفي صباح أحد الأيام وجدت جريدة على مقعد في

الطريق فالتقطتها، وعلمت منها أن ابن خالتي قد وصل منذ قليل...

فيرونيك : واستطعت الاتصال به، وتحدثت معه عن العائلة وفتح لك ذراعيه...

جورج : واتخذني سكرتيرا له.

فيرونيك : سكرتير؟ هاها!

جورج : مهلا! إنني سكرتيره هكذا: قبل مرور أسبوعين سوف أرحل بما أقتصده من مال.

فيرونيك : وفي انتظار ذلك تساعده في أعماله القذرة.

جورج : أعماله القذرة؟ يافتاتي الصغيرة، أنت لست في جريدة الفيجارو!

فيرونيك : أنا؟ طبعا لا!

جورج : أتكذبين مرة أخرى؟

فيرونيك : نعم.

جورج : أهي جريدتك التقدمية التي أرسلتك؟

فيرونيك : كلا. لقد أتيت من تلقاء نفسي. (صمت) إذن؟ حدثني عنه. ماذا يفعل حين تكونان معا؟

جورج : يشرب.

فيرونيك : وماذا يقول؟

جورج : يصمت.

فيرونيك : أهذا كل شيء؟

جورج : هذا كل شيء.

فيرونيك : ألا يتحــدث مطلقــا عن زوجته؟ عــن أولاده الثلاثة الذين تركهم هناك؟

جورج : دعيني في ســلام! (فترة) لقد أولاني ثقته ولا أريد خيانته.

فيرونيك : لا تريد خيانته وستحتال عليه.

جورج : سوف أحتال عليه، ولكن هذا لا يمنع العواطف. لقد كنت أحس دائما بعاطفــة نحو ضحاياي، إنها المهنة التــي تتطلب ذلك. كيف أحتال على أحد من دون أن أعجبــه وكيف أعجبه؟ إن لم يكــن هو يعجبني؟ كل أعمالي بدأت بإعجاب متبادل.

فيرونيك : وهل أعجبك «نيكراسوف» لأول وهلة؟

جورج : إلى حد ما. إنها شعرة إحساس.

فيرونيك : لهذه القمامة؟

جورج : إني أمنعك.

فيرونيك : أنت تدافع عنه.

جورج : أنا لا أدافع عنه، ولكن صدمتني بالكلمة التي تفوهت بها.

فيرونيك : ألا تعتبره قمامة؟

جورج : ربمــا كان كذلك حقا. ولكن ليس لك الحق في اتهام رجل لا تعرفينه.

فيرونيك : إني أعرفه جيدا.

جورج : تعرفينه؟

فيرونيك : (في هدوء) طبعا، لأنه أنت.

جورج : (مرددا من دون أن يفهم) طبعا، لأنه أنا. (يقفز على قدميه) ليس أنا! ليس أنا! ليس أنا! (تنظر إليه مبتسمة) من أين علمت ذلك؟

فيرونيك : والدي..

جورج : أخبرك إذن.

فيرونيك : كلا.

جورج : إذن؟

فيرونيك : إنه ككل المتخصصين في الكذب العلني، لا يعرف كيف يكذب في بيته.

جورج : إن والدك معتوه! (يذرع الحجرة سيرا) هيا! أريد أن أرضيك وأفرض للحظة أني «نيكراسوف».

فيرونيك : شكرا.

جورج : ماذا عساك فاعلة لو كنت أنا «نيكراسوف»؟ تسلمينني للشرطة؟

فيرونيك : وهل سلمتك لهم في تلك الليلة الماضية؟

جورج : هل تنشرين اسمي الحقيقي في جريدتك؟

فيرونيك : لو أني فعلت ذلك الآن لعد عملا أخرق مني. تنقصنا براهين، ولن يصدقنا أحد.

جورج : (وقد اطمأن) أي أني باختصار قد أعجزت خصومي؟

فيرونيك : في الوقت الحاضر، نعم، نحن عاجزون.

جورج : (ضاحكا) يسار، يمين، وسط: إني أمسك بكم جميعا في قبضتي. عليك أن تموتي من الغيظ ياطفلتي

الجميلة! ســـر بســـر: «نيكراســـوف» هـــو فعلا أنا. تذكري المتشرد البائس الذي استضفته في حجرتك؟ أي طريق قطعـــه منذ ذلك الحـــين! أي وثبة هائلة! (يتوقـــف وينظر إليها) في النهاية، ماذا أتيت تفعلين هنا؟

فيرونيك : أتيت لأقول لك إنك قذر.

جورج : دعك مـــن الجرح بالـــكلام فإني مســـلح: كل صباح تصفني جريدة الأومانيتيه بفأر لزج.

فيرونيك : هذا خطأ.

جورج : أحب أن أسمعك تقولين ذلك.

فيرونيك : أنت لست فأرا لزجا: أنت قذارة... قمامة!

جورج : آه إنك تزعجينني! (يبتعد بضع خطوات ثم يعود إليها) موظف ســـوفييتي كبير يأتي إلـــى باريس خصيصا لكي يعطي أســـلحة لأعداء وطنه وحزبه، أتفق معك علـــى كونه قمامة، وحتى ـ وأنا أذهب أبعد منك ـ إنه مقلب قاذورات. ولكن أنا لم أكن في يوم ما وزيرا ولا عضوا في الحزب الشيوعي. كان عمري ستة شهور حين تركت الاتحاد الســـوفييتي، وكان والدي روسيا أبيض. أنا لا أدين بشيء لأحد. حينما عرفتني كنت محتالا نابغا ووحيدا، أين أعمالي؟ حسن! وأنا كذلك دائما: بالأمـــس كنت أبيع عمارات زائفة وســـندات زائفة، واليوم أبيع أسرارا زائفة عن روسيا.، أين هو الفـــارق؟ (لا تجيب) النهايـــة، أنت لا تحبين الأغنياء بنوع خاص: هل هي جريمة شنعاء أن نخدعهم؟

فيرونيك : أتظن حقا أنك تخدع الأغنياء؟

جورج : مـن الذي يدفع فواتير الخياط أو الفندق؟ من الذي دفع ثمن سيارتي الجكوار؟

فيرونيك : ولماذا يدفعون؟

جورج : لأني أبيع لهم أكاذيبي.

فيرونيك : ولمَ يشترون منك هذه المذكرات الكاذبة؟

جورج : لأنهم... ولكن هذا يعنيهم، ولا علم لي به.

فيرونيك : إنهم يشترونها منك لكي يبيعوها للفقراء.

جورج : الفقراء! من الذي يفكر في الفقراء؟

فيرونيك : قراء سـوار آبـاري، هل تعتبرهـم أصحاب ملايين؟ (تخرج جريدة من حقيبتها) «نيكراسوف يعلن: العامل الروسي أشقى أبناء الأرض»، هل قلت ذلك؟

جورج : نعم. أمس.

فيرونيك : لمن قلته؟ للفقراء أم الأغنياء؟

جورج : وهل أدري؟ لكل الناس. للاأحد. هذا مزاح لا خطر منه.

فيرونيك : هنا، نعم. وسط الورد. على كل حال، ليس بين نزلاء جورج الخامس أحد رأى في حياته عمالا قط. ولكن أو تدري ماذا يعني هذا في بيلانكور؟

جورج : أنا...

فيرونيك : لا تجرح الرأسـمالية وإلا وقعت في البربرية. العالم البرجوازي له مساوئه ولكنه أفضل عالم ممكن. بؤس ببؤس حـاول أن توقف حياتك معـه. ولتكن مقتنعا بأنك لن ترى نهايته أبدا، ولتشـكر السـماء أنك لم تولد في الاتحاد السوفييتي.

جورج : لا تقولــي لي إنهم يعتقدون ذلك: ليســوا حمقى إلى هذا الحد.

فيرونيك : لحســن الحظ: وإلا لما كان أمامهم سوى أن يسرفوا في الشراب حتى الموت، أو ينتحروا بالغاز، ولكن، إذا لم يوجد غير واحد في الأرض يبتلع كلامك المنمق لصرت بذلك قاتلا. لقد أوقعوك يا عزيزي المسكين جورج!

جورج : أنا؟

فيرونيك : تبــا لك. كنت تظن أنك تســرق المال مــن الأغنياء، ولكنك تكســبه. بأي كبرياء رفضت فــي تلك الليلة الوظيفة التي عرضتها عليك: «أنا، أعمل!» حســن! إن لك رؤساء الآن، وهم يجعلونك تعمل في كد.

جورج : هذا غير صحيح!

فيرونيك : هيــا، هيا، تعلم جيدا أنهم يدفعون أجرا لكي تنشــر اليأس بين الفقراء.

جورج : اسمعي...

فيرونيك : (مسترســلة) لقد كنت محتالا بريئا من غير قسوة، نصف تاجر لا شرف له، نصف شاعر. أو تدري ماذا فعلوا بك؟ لقد لوثوك بالبراز. فإما أن تحترك نفسك وإما أن تتحول إلى شرير.

جورج : السفلة! (من بين أسنانه)

فيرونيك : من الذي يسيطر على الموقف هذه المرة؟

جورج : الموقف؟

فيرونيك : نعم.

جورج : إيه (يتمالك نفسه) إنه أنا. دائما أنا.

فيرونيك : إذن فقد نويت أن تنشر اليأس بين الفقراء، ولن تتراجع.

جورج : كلا.

فيرونيك : إذن فهم الذين يوجهونك؟

جورج : لا يستطيع أحد أن يوجهني: لا أحد في العالم.

فيرونيك : لا بد على أي حال من الاختيار: أنت مخدوع أو مجرم.

جورج : سيتم الاختيار سريعا: تحيا الجريمة.

فيرونيك : جورج!

جورج : أنا أنشر اليأس بين الفقراء؟ وبعد؟ كل إنسان لنفسه. لا عليهم سوى أن يدافعوا عن أنفسهم! أنا أفتري على الاتحاد السوفييتي؟ هذا عن عمد: أريد تحطيم الشيوعية في الغرب. أما عن عملك، سواء كانو من بيلانكور أو من موسكو، فأنا...

فيرونيك : أرأيت ياجورج، أرأيت كيف بدأت تصبح شريرا.

جورج : طيب أو شرير، ماذا يعنيني! الخير أو الشر، أتحمله كله على عاتقي: أنا مسؤول عن كل شيء.

فيرونيك : (تريه مقالا في جريدة سوار آباري) حتى عن هذا المقال؟

جورج : طبعا. وما موضوع هذا المقال؟ (يقرأ) «مسيو نيكراسوف يصرح بأنه يعرف روبير ديفال وشارل مايستر حق المعرفة»، لم أقل قط شيئا من هذا

القبيل.

فيرونيك : شككت في الأمر، ولهذا السبب نفسه أتيت لمقابلتك.

جورج : روبير ديفال؟ شارل ماستر؟ لم أسمع بهذه الأسماء قط.

فيرونيك : إنهما صحافيان من عندنا، كتبا ضد تسليح ألمانيا.

جورج : وبعد؟

فيرونيك : يريدونك أن تقول إن الاتحاد السوفييتي دفع لهما مالا.

جورج : وإذا قلت ذلك؟

فيرونيك : يقدمان أمام المحكمة العسكرية بتهمة الخيانة العظمى.

جورج : اطمئني. لن ينتزعوا مني كلمة واحدة، هل تصدقينني؟

فيرونيك : أصدقك، ولكن احترس: لم يعودوا يرضون بأكاذيبك. لقد بدأوا ينسبون إليك أكاذيب لم تقلها قط.

جورج : أتتحدثين عن هذه الفقرة في الجريدة؟ إنه موظف صغير أصابه بعض الحماس. سآمر بغسل رأسه. سأرى جول بعد قليل وسآمره بنشر تكذيب.

فيرونيك : (من دون اقتناع) افعل ما تستطيع.

جورج : أهذا كل ما لديك من قول؟

فيرونيك : كل ما لدي.

جورج : عمت مساءً.

فيرونيك : عمت مساءً. (ويدها على مقبض الباب) أرجو لك ألا تصبح شريرا بإفراط. (تخرج)

المشهد الثامن

جورج بمفرده.

جورج : هــذه الصغيــرة لا تفهم شــيئا في السياســة. إنها مبتدئة. (مخاطبا الباب) أو كنت تظنين ســوف أقع في حبائلك؟ أنا أفعل دائما نقيض ما ينتظره الناس مني. (يقطع الحجرة ويذهب لإحضار رداء السهرة) لنشــر اليأس في بيلانكور! ســوف أجد شــعارات رهيبة! (يأتي بقميص وياقة. يدندن) لننشــر اليأس فــي بيلانكور! لننشــر اليأس فــي بيلانكور! جرس التليفون يرن. يتناول الســماعة) أهو أنت ياسيبيلو؟ إذن؟ هيــه؟.. أوه؟.. هــذا غير ممكــن... هل رأيت جول شــخصيا؟ ألم تقل لــه أن يلح في طلبي.. أيها الأبلــه! لا بد أنك لم تعرف التحدث معه! إنك ترتعد أمامــه، وكان لا بد من إحراجه! ســيذهب إلى الأم بونومي هذا المساء؟ حسن، سأتحدث إليه أنا. (يعيد السماعة) يرفضون لي طلبا، أنا؟ (يتهاوى على مقعد في إعياء قصير) إني غارق في السياســة! غارق في السياســة! (ينهض فجــأة) يبحثون عنــي! يبحثون عني! حســن! إني أحس أنهم سيجدونني! إني أقبل اختيــار قوتي، بل إني شــديد الرضــا، إنها فرصة لتأكيد سطوتي. (ضاحكا) سأجعلهم يختبئون تحت

الأرض. (تليفون. يتناول السماعة) آلو! أهو أنت من جديــد.. معذرة، ولكن من أنت؟ آه! عظيم! لقد كنت أفكر فيك الآن. ســافل؟ نعم ياســيدي العزيز؟ آخر السفلة. وأقول خيرا من ذلك: قمامة. أنا آمر بطرد موظفين صغار، وأســلم صحافيين للبوليس، وأنشر اليأس بين الفقراء، وليســت تلك ســوى البداية. إن ما سأكشــف عنه في مذكراتي المقبلة سيدفع الناس إلى الانتحار تباعا. أنت طبعا رجل شريف. وأنا أرى ذلــك من هنا. ثيابك بليت، تركــب المترو أربع مرات يوميا، وتستشــعر الفقر. ذلك أن الكفاءة لا تجازى! أما أنا فلدي المال والمجد والنســاء. إذا التقيتني وأنا في ســيارتي/ الجكوار، فاحترس: إني أتعمد السير إلى جــوار الأرصفة لألوث الناس الشــرفاء. (يعيد سماعة التليفون) هذه المرة أنا الذي أعدت السماعة أولا. (يضحك) معها حق الفتاة الصغيرة، وسأصبح شريرا. (يقذف سلال الورد بقدمه، ويقلبها الواحدة تلو الأخرى) شريرا! شريرا! شريرا جدا!

(ستار)